مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية

https://journal.ziu-university.net

30/06/2023

Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

النبوة ودعوى استمرارها ودلائل ختمها بالرسالة الإسلامية

Prophethood and the claim of its continuity and evidences of its sealing with the Islamic message

د. محمد منصف العسري

Dr. Mohammed Monssif Elasri

أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، جهة الرباط سلا القنيطرة، المقر الرئيس الرباط، المغرب

research professor, Regional Center for Education and Training Professions, Rabat-Salé-Kenitra Region, Headquarters Rabat, Morocco

doc.monsif@gmail.com

https://orcid.org/0009-0000-1139-578X

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص

تعالج هذه الدراسة إحدى قضايا النبوة المتعلقة بختمها ودلائله؛ انطلاقا من الوقوف على ضرورة الإنسانية إلى النبوة، وحقيقتها المميزة للنبي عن غيره من أدعياء النبوة، وبيان ما يتعلق بالمتنبئين قديما وحديثا، وأبرز حركاتهم وعوامل ظهورها واستمرار بعضها في العصر الراهن، والتنبيه على ما يرتبط بذلك من زعمِ انتظار النبي الخاتم، وشبهات إنكار ختم النبوة، ثم تفنيد ودحض كلٍّ مِن زعمِ الانتظار وشبهات الإنكار، وإبطال ما يتصل بهما من دعوى التنبؤ؛ ببسط الدلائل والبراهين النقلية والعقلية والواقعية الكافية في رد وإبطال تلك المزاعم والدعاوى، وإثبات ختم النبوة بالبعثة المحمدية، بما تنطوي عليه تلك الدلائل من الأسس التي تنبني عليها هيمنة واستمرارية الرسالة الإسلامية وخاتميتها.

الكلمات المفتاحية: النبوة، التنبؤ، النبي الخاتم، دلائل الختم، الرسالة الإسلامية.

Abstract

This study deals with one of the issues of prophecy related to its seal and evidence. Proceeding from standing on the necessity of humanity to prophethood, and its distinguishing reality of the Prophet from other claimants of prophethood, and clarifying what is related to the Predictors in the past and present, and their most prominent movements and factors of their emergence and the continuity of some of them in the present era, and alerting to the related claim of waiting for the final Prophet, and the suspicions of denial of the seal of prophecy Then he refutes and refutes both the claim of waiting and the suspicions of denial, and the nullification of the related claim of prediction; By extending the textual, rational, and realistic evidence and proofs sufficient to reject and invalidate these allegations and claims, and to prove the seal of prophecy with the Muhammadiyah

mission, including those evidences of the foundations upon which the hegemony, continuity and finality of the Islamic message is built.

Keywords: prophecy, prediction, the final prophet, evidences of the seal, the Islamic message.

المقدمة

تعتبر النبوة من أعظم أبواب العقيدة؛ لما تمثله من واسطة بين الله تعالى وعباده، وبما تنطوي عليه من تبليغ دينه إليهم من خلال الوحي الإلهي، وما يقدمه من أجوبة كافية عن مختلف الأسئلة الوجودية، وما يتضمنه من مبادئ وتشريعات تنظيمية لحياة الإنسان؛ حيث تتابعت النبوات والرسالات السماوية عبر العصور المتتالية لتحقيق تلك الغايات، وتصحيح معتقدات الناس وتقويم سلوكاتهم.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في الإسهام في حفظ الأمة من سبب رئيس للابتداع والضلال، وإبراز الأسباب الكامنة وراء الاستغناء عن نبوات جديدة تستهدف تحقيق مقاصدها، فيما يحتاجه الواقع الإنساني من تقويم للانحرافات الحاصلة في جانب المعتقدات والتصورات وما ينبني عليها في جانب الأعمال والسلوكات، وبيان أسس استمرار تحقيق الرسالة الإسلامية لأدوارها فيما تحتاجه البشرية.

إشكالية البحث:

انطلاقا من الأهمية القصوى للنبوة تأتي هذه الدراسة لمعالجة قضية هامة من قضاياها؛ تتعلق بختمها ودلائله، انطلاقا من المشكلة التي يطرحها الموضوع، والتي تتلخص في إشكال مركزي مفاده: لماذا يستحيل وجود نبوة بعد البعثة المحمدية؛ مما يلغي التطلع لبعث أنبياء يكونون وُسَطاء بين الناس وبين خالقهم في تبليغ وبيان شرائع دينه لهم وتجديده في حياتهم؟ وهل ذلك يعني تخلي النبوة عن دورها الأساسي في تصحيح المعتقدات وتقويم السلوكات وبناء الحضارة الإنسانية؟

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وفي إطار مقاربة القضية التي يتمحور حولها هذا الإشكال المركزي تطفو مجموعة من الأسئلة الفرعية المتعلقة به؛ أبرزها: ما مجالات ضرورة الإنسانية إلى النبوة؟ وما حقيقتها المميزة للنبي عن غيره من أدعياء النبوة؟ وكيف ظهر التنبؤ والمتنبئون وتبلورت حركاتهم قديما وحديثا؟ وما علاقة ذلك بمزاعم انتظار النبي الخاتم وبشبهات إنكار ختم النبوة؟ وما هي الدلائل والبراهين الكفيلة بدحض تلك المزاعم والشبهات وإبطال دعوى التنبؤ؟ وما الأسس التي تنبني عليها هيمنة واستمرارية الرسالة الإسلامية وعالميتها وخاتميتها؟ وما علاقتها بدوام تحقيق النبوة لدورها فيما تحتاجه البشرية لإكمال مسيرتها في الحياة؟

أهداف البحث:

ترمي هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف تتلخص في:

- بيان حقيقة النبوة ومكانتها العظمى وضرورة الإنسانية إليها.
- التدليل على بطلان مزاعم التنبؤ وما يرتبط به من شبهات إنكار ختم النبوة.
- التوعية بما يحفظ الأمة من سبب رئيس للابتداع والضلال والفتن وتمزيق الوحدة.
- تقرير خاتمية الرسالة الإسلامية وهيمنتها وعالميتها بمختلف الدلائل الشرعية والعقلية والواقعية.
- إبراز الأسس التي ينبني عليها دوام تحقيق النبوة الخاتمة لأدوارها فيما تحتاجه البشرية في مسيرتها.

منهجية البحث:

لتحقيق أهداف البحث تمت معالجة قضيته الرئيسة وما يتصل بها، باتباع منهجية ترتكز أساسا على المنهج الوصفي التحليلي، إلى جانب ما يدعمه من منهج استقرائي للنصوص والأحكام الشرعية المتعلقة بالموضوع، بموازاة ما يتطلبه البحث من منهج نقدي، بما ينطوي عليه من مساءلة نقدية، وما يستلزمه من بيان قائم على التزام بمعايير الأدلة.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على: مقدمة، ومبحثين؛ يضمان مطالبا وفروعا، وأخيرا خاتمة، وفق ما يأتي:

المقدمة: تتضمن تأطيرا عاما لأهم ما يتعلق بالقضية المطروحة في البحث.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المبحث الأول: النبوة والتنبؤ وما يتعلق بهما؛ وهو يتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النبوة: ضرورتها وحقيقتها؛ في فرعين: أحدهما في ضرورة النبوة، والثاني في حقيقتها.

المطلب الثاني: التنبؤ والمتنبئون وحركاتهم؛ في ثلاثة فروع: أحدها في مفهوم التنبؤ والفرق بين النبي والمتنبئ، والثاني في المتنبئين والحركات التنبئية، والثالث في أسباب وعوامل التنبؤ.

المطلب الثالث: بين انتظار النبي الخاتم وإنكار ختم النبوة.

المبحث الثاني: دلائل ختم النبوة بالرسالة الإسلامية؛ وهو يتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الأدلة والأسس النقلية والإجماع المبني عليها؛ في ثلاثة فروع: أحدها في النصوص القرآنية، والثاني في السنة النبوية، والثالث في إجماع الصحابة وعلماء الأمة.

المطلب الثاني: الأدلة والأسس العقلية والواقعية؛ في فروع ثلاثة: أحدها في انتفاء دواعي تجدد الرسالة السماوية، والثاني في كمال الدين الإسلامي من جميع الجوانب، والثالث في الأفضلية العليا لنبي الإسلام.

الخاتمة: فيها تقرير أهم نتائج البحث المتوصل إليها، وتوصياته، وآفاقه.

المبحث الأول: النبوة والتنبؤ وما يتعلق بهما

المطلب الأول: النبوة: ضرورتها وحقيقتها

الفرع الأول: ضرورة النبوة

إذا كان من المقرر أن العقيدة الدينية تشكل دوما مرتكز الفعل البشري، وذات أهمية كبرى في حياة الأمم، ولها تأثير بالغ في حصول نهضتها الحضارية؛ فإن النبوة وقضاياها تعتبر من أعظم أبوابها؛ حيث تشكل واسطة بين الخالق وعباده لتبليغ شرعه إليهم؛ ببعثة الرسل[1]، والتي تتجلى فيها حكمة الله ورحمته بعباده بقطعه حجتهم؛ قال الله تعالى: **{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}** [النساء: 165]، وعدم مؤاخذتهم إلا بعد تبليغهم دينه تعالى؛ مصداقا لقوله سبحانه: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}** [الإسراء: 15].

[1]. الذين يعتبر الاعتقاد بهم من أركان الإيمان؛ وذلك بالتصديق باصطفاء الله لبعض الناس وإيحائه إليهم، وإرسالهم لدعوة عباده إلى نهج صراطه القويم، مع تأييدهم بالمعجزات الدالة على صدق نبوتهم.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158– 204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ومما يبين الضرورة الإنسانية القصوى إلى الرسالة الإلهية؛ أن من أول ما اعترض الإنسان من معضلات وإشكالات كبرى؛ مشكلة وجوده وما حوله من موجودات، فلزمه التساؤل عن: من أوجده وأوجد باقي المخلوقات من حوله في هذه الحياة؟ وما المصير الذي ينتهي إليه أمره بعد الموت؟ وما مهمته العظمى في الحياة والغاية التي من أجلها خلق؟

وإذا كان الإنسان يهتدي بفطرته وعقله إلى وجود الخالق الذي تجب عبادته، وأنه سيجازي كل شخص على عمله في حياة أخرى؛ فإن هذه الفكرة التي كانت تنبعث في نفوس البشر احتاجت باستمرار للوضوح والبرهان؛ لكي تتخلص النفس البشرية من الحيرة وتطمئن إلى عقيدة واضحة المعالم؛ تجد فيها الجواب الكافي عن جميع التساؤلات المشار إليها وما يدور في فلكها. كما أن الاجتماع الإنساني، وما يقتضيه من علاقات متنوعة بين الناس تتطلب تنظيمها وضبطها بقيم ومبادئ وتشريعات؛ كان يفرز دائما تطلع البشر إلى تشريع إلهي يسمو فوق التشريعات والقوانين التي يضعها الإنسان؛ لكي يرشدهم إلى أحسن السبل التي تمكنهم من تنظيم حياتهم على أساس العدل وما ينبني عليه من توازن بين المصالح.

وإلا فهل من المعقول أن يعتقد الإنسان بوجود إله خالق لهذا الكون ومدبر له وفق نظام دقيق، لكنه يعرض عن أهم مخلوق في هذا العالم وهو الإنسان، فيتركه يتصرف كما يشاء، يسود في حياته الظلم ويطبعها الاضطراب، دون أن يزوده بمعلومات ترشده لما فيه صلاحه، ومبادئ تنظم حياته، وبيان يوضح علاقاته ومسؤولياته تجاه خالقه ونفسه وأخيه الإنسان ومن حوله من موجودات؟!

لتلك الغايات تتابعت الرسالات السماوية عبر العصور والأزمنة؛ لتعريف الإنسان وتذكيره بأصله ومصيره بعد الموت ووظيفته في هذه الحياة، داعية لعبادة الله وحده؛ قال عز وجل: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}** [النحل: 36]، ومراعية في التشريعات جلب المصالح للناس، ودرء المفاسد عنهم، وإقامة العدل بينهم؛ قال تعالى: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}** [الحديد: 25].

حيث أن تاريخ البشرية –كما جاء في الوحي الإلهي– يقرر أن آدم، عليه السلام، ورّث الأمة الأولى فطرة الله تعالى في توحيده وعبادته، ثم حصل الانحراف عنها والتبديل فيها والضلال عن طريقها المستقيم؛ مما أدى إلى الاختلاف والتباين في المعتقدات والتصورات، وما ينبني عليها من أعمال وسلوكات في شتى المجالات. فكان ظهور

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

النبوات المتتالية لتصحيح معتقدات الناس وما يصدر عنهم من تصرفات بناء عليها، وكان عمل الأنبياء متصلا بعضه ببعض ومتكاملا فيما بينه؛ يبنى فيه اللاحق على السابق في تطور وتقدم مستمر. مؤكدا بذلك أن مصدر تلك الرسالات واحد وأن هدفها واحد، وإن اختلفت بعض طرق تحقيق ذلك الهدف فيما يخص التشريعات المتنوعة بالنسبة لكل أمة حسب ظروفها؛ مراعاة للطبيعة الإنسانية فيما مرت به من مراحل نموها ونضجها.

وكل ما ذكرنا يؤكد الأهمية القصوى للنبوة وعلو شأنها، وضرورة الإنسانية إلى النبوة والأنبياء، كما نبه على ذلك كثير من العلماء؛ منهم ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) في قوله: «فأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والبغي إلا من أشرق عليه نور النبوة»[1]، وسعيد النورسي (ت 1379هـ) الذي نص على أن النبوة، التي هي قطب المصالح الكلية ومحورها ومعدن حياتها، ضرورية لنوع البشر، فلو لم تكن النبوة لهلك النوع البشري، وذلك باعتبارها معدن نظام البشرية المادي والمعنوي[2]، كما فصل محمد عبده (ت 1323هـ) الكلام في حاجة البشر إلى الرسالة الإلهية، وختمه بقوله: فبعثة الأنبياء من متممات كون الإنسان، ومن أهم ضروراته في بقائه، ومنزلتها من النوع منزلة العقل من الشخص، نعمة أتمها الله[3].

الفرع الثاني: حقيقة النبوة

يدور المعنى اللغوي للفظ "النبوة" حول عدة استعمالات، تختلف باختلاف جهة الاشتقاق؛ الأول: الخبر، وهي بهذا المعنى مشتقة من الفعل نَبَأَ، ونَبَّأَ، وأنبأ؛ أي أخبر، فالنبي هو: المخبر عن الله تعالى[4]. الثاني: العلو والارتفاع، وبهذا تكون مشتقة من النَبْوة والنَّبَاوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أي إن النبي أشرف على سائر الخلق[5]، وعليه فإنه شُرف عليهم، وعلا مقامه عليهم. الثالث: الطريق الواضح، أي أن تكون مأخوذة من النبيء، وهو بمعنى الطريق الواضح[6]، فتكون النبوة بمعنى الطريق إلى الله.

---

1. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم/دار الشامية، جدة، السعودية، ط1، (1416هـ/1996م)، ج2، ص591.
2. سعد عبد الله عاشور، النبوة في فكر النورسي مفهومها، ضرورتها، دورها، بحوث المؤتمر العالمي العاشر عن فكر بديع الزمان النورسي: دور النبوة ومكانتها في البحث عن الحقيقة في منظور رسائل النور، المنظم بين 22-2013/9/24، مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، 2013، ص494.
3. محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق: محمود أبو رية، دار المعارف، مصر، ط3، ص108.
4. ينظر: ابن منظور، محمد، لسان العرب، حرف الألف "أ"، فصل النون، مادة "نبا"، دار صادر، بيروت: ط3، (1414هـ)، ج1، ص162.
5. المرجع نفسه، ج1، ص163.
6. المرجع نفسه، ج1، ص164.

وهذه المعاني كلها تصح في حق "النبي" لأنه مُنَبَّأٌ من الله، ومُنبِئٌ عنه، كما أنه رفيع القدر عالي المنزلة، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله. وذكر ابن تيمية (ت 728هـ) في اشتقاق كلمة "النبي" أن «النبوة مشتقّة من الإنباء. والنبيّ فعيلٌ، وفعيل قد يكون بمعنى فاعل؛ أي منبي، وبمعنى مفعول؛ أي منبأ. وهما هنا متلازمان؛ فالنبي الذي يُنبئ بما أنبأه الله به، والنبي الذي نبّأه الله، وهو مُنبأ بما أنبأه الله به»[1].

وعرف الأصفهاني (ت 502هـ) النبوة في اصطلاح الشرع بأنها «سِفَارَةٌ بين الله وبين ذوي العقول من عباده؛ لإزاحة عللهم في أمر مَعادِهم ومَعاشِهم. والنَّبِيُّ لكونه منبِئا بما تسكن إليه العقول الذَّكيَّة»[2]. علما أن الرسول أخص من النبي؛ لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا[3].

وقد حاول بعض الكاتبين تفسير حقيقة النبوة في ارتباطها بتلقي الوحي الإلهي؛ بأنها تتجلى في كون صنف النفس البشرية للأنبياء مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة إلى المَلكية من الأفق الأعلى، ليحصل له في لمحة من اللمحات شهود الملإ الأعلى، وسماع الخطاب الإلهي، فالأنبياء جعل الله لهم ذلك الانسلاخ في تلك اللمحة، وهي حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها، فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك الملإ الأعلى ما تلقوه، وعرجوا به على المدارك البشرية منزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد[4]. على أن الأوفق في إطار ما يقتضيه مطلق الإيمان بالرسل وحملهم للرسالة الإلهية حسب ما ورد به الشرع، وتطمئن إليه النفس بشأن حقيقة النبوة فيما يتعلق بتلقي الوحي الإلهي؛ أن يُلزَم عدم الخوض في تصور كيفية اتصال النبي بالملإ الأعلى، ويُقتصر في ذلك على التصديق بما جاء في النصوص الشرعية؛ وعلى رأسها قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}** [الشورى: 51]؛ فهذه ثلاث صور للوحي: إحداها إلقاء الله للمعنى في قلب النبي، والثانية تكليم الله للنبي من وراء حجاب، والثالثة إلقاء الملَك إلى النبي ما كلف إلقاءه إليه.

---

[1]. ابن تيمية، أحمد، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط1، (1420هـ/2000م)، ج2، ص873.
[2]. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق/بيروت، ط1، 1412هـ، ص789.
[3]. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص163.
[4]. عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى، حقيقة الإنسان-الكتاب الثاني **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}**، دار المعارف، القاهرة: ط2، ص249-250.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
204 -158ص.ص :العدد الحادي عشر ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وفي إطار بيان حقيقة النبوة «يشير النورسي إلى حقيقة عقدية مهمة؛ وهي أن كلا من النبوة والرسالة اصطفاء رباني، وإعلام إلهي، وأن أيا منهما لا يكون أمرا يكتسب اكتسابا بالاجتهاد والرياضة، ولا بالدراسة والبحث»[1]؛ حيث أخبر تعالى أنه اصطفى الأنبياء من بين الناس: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [آل عمران: 33 – 34]، **﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾** [الحج: 75]. فالنبوة ليست مجاهدة نفسية، ولا مقدرة جسمية، ولا علوما عقلية، ولا خبرة مكتسبة من التجربة في الحياة، وإنما هي اصطفاء من الله، بمشيئته وحكمته، لمن يرتضي من صفوة عباده ممن توفرت فيهم صفات الأنبياء، ولذلك رد سبحانه على المشركين وجهّلهم وأنكر عليهم قولهم: إن منصب الرسالة لا يليق إلا برجل كثير المال عظيم الجاه؛ حيث قال تعالى: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [الزخرف: 31 – 32]. فمع «كون النبوة منحة إلهية، إلا أن الله لا يختار لها إلا أناسا خصهم وميزهم بخصائص ومميزات ليست موجودة في سائر البشر؛ فالرسل أكمل البشر خَلقا وخُلقا، وأرجحهم عقلا، وأوفرهم ذكاء، وأنورهم قلبا»[2].

ويترتب على كون النبوة اصطفاء من الله؛ أن كل ما يؤيدها من آيات هي من عند الله وبمشيئته، ولا تكون باختيار النبي؛ قال عز وجل: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** [العنكبوت: 50]، فالنبي إنما يتبع ما يوحى إليه من عند الله، ويُعطى من الآيات ما يكفي ليصدق الناس نبوته، ويبلغهم من الشرع ما يُصلح حالهم.

وبهذا يتجلى أن النبوة لها ارتباط وثيق بالآيات المعجزة، ولذلك يكون إنكار المعجزة متضمنا لإنكار النبوة. «وبناء على شدة الاتصال بين إنكار المعجزات وإنكار النبوة نرى الذين يكتبون عن الأنبياء، عليهم السلام، من غير تعرض

---

1. سعد عبد الله عاشور، النبوة في فكر النورسي، مرجع سابق، ص493.
2. حامد أشرف همداني، مفهوم النبوة وضرورتها للبشرية بمنظور رسائل النور، بحوث المؤتمر العالمي العاشر عن فكر بديع الزمان النورسي: دور النبوة ومكانتها في البحث عن الحقيقة في منظور رسائل النور، المنظم بين 22-2013/9/24، مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، 2013م، ص106.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لمعجزاتهم، يصورونهم ويترجمون عن حياتهم كأنهم لا يمتازون عن الناس إلا بما يمتاز به العظماء والحكماء الأماثل، من دون أن يكون لهم صلة خصوصية بالله تعالى غير فطرتهم التي فطرهم على أن يكونوا عظماء وفي مقدمتهم»[1].

المطلب الثاني: التنبؤ والمتنبئون وحركاتهم

الفرع الأول: مفهوم التنبؤ والفرق بين النبي والمتنبئ

إذا كانت تلك هي حقيقة النبوة ومكانتها العظمى كما بينا؛ فإن التنبؤ بخلافها، قال ابن منظور (ت 711هـ): «يقال: تنبى الكذاب إذا ادعى النبوة. وتنبى كما تنبى مسيلمة الكذاب وغيره من الدجالين المتنبين»[2]. وحدد الأصفهاني (ت 502هـ) مفهوم التنبؤ بقوله: «وتَنَبَّأَ فلان: ادَّعى النُّبوَّة، وكان من حق لفظه في وضع اللغة أن يصح استعماله في النبيّ إذْ هو مُطاوِعُ نَبَّأَ، كقوله: زَيَّنَهُ فَتَزَيَّنَ، وحَلَّاهُ فَتَحَلَّى، وجَمَّلَهُ فَتَجَمَّلَ، لكن لما تُعُورِفَ فيمن يدَّعِي النُّبوَّة كَذِبا جُنِّبَ استعمالُه في المُحقّ، ولم يُستعمَل إلا في المُتقوِّل في دَعْواه. كقولك: تَنَبَّأَ مُسَيْلِمَةُ، ويقال في تصغير نَبيء: مُسَيْلِمَة نُبَيِّئُ سَوْءٍ، تنبيها أن أخباره ليست من أخبار الله تعالى»[3].

وبذلك يتبين أن الفرق بين النبي والمتنبئ هو الفرق بين الصادق والكاذب؛ فالنبي هو كل من يوحى إليه من الله، أما المتنبئ فهو مدعي النبوة. ومما يجلي حقيقة كل من النبي والمتنبئ النظر في سيرة وأحوال كل منهما، فسيرة الأنبياء، قبل وبعد البعثة، يتبين منها أن النبي يكون معروفا بين قومه بصدقه وخلقه الحسن الموافق للفطرة السليمة. ومن الآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى في سيرة الأنبياء؛ الآيات الآتية: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ}** [النحل: 120 – 121]، **{قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}** [هود: 87]، **{قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا}** [هود: 62]، **{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}** [يوسف: 51]، ومنها شهادة الله تعالى لمحمد، صلى الله عليه وسلم: **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [القلم: 4]، وقد كان الصدق معروفا من سيرته قبل

---

[1]. مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: ط2، (1401هـ/1981م)، ج4، ص40.
[2]. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص163.
[3]. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص789-790.

البعثة؛ عن ابن عباس قال: «لما نزلت **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}** [الشعراء: 214] صعد النبي، صلى الله عليه وسلم، الصفا فجعل ينادي: ﴿**يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍ**﴾ لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال: ﴿**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**﴾ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: ﴿**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾. فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: **{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}** [المسد: 1]»[1]؛ وبهذا يتجلى أن كل مدع للنبوة يتبين كذبه من حاله وسيرته. كما يميز النبي عن المتنبئ بما يجريه الله على يد النبي من الآيات البينات، التي يعرف الناس حقيقتها، فلا تلتبس عليهم بغيرها، ولا يستطيعون الإتيان بمثلها؛ ليبين لهم بها صدقه؛ لكونها أدلة واضحة قطعية لا تقبل الشك.

وهذه صفة آيات الله ومعجزاته التي أيد بها رسله، فهي ليست سحرا يزول بزوال أثره، ولا كهانة بما فيها من الكذب، ولا خدعة سرعان ما تنكشف. وبالمقابل كل مدع للنبوة يمكن كشف كذبه مما يزعم أنه دليل نبوته؛ فيكون ذلك أمرا مما يستطيعه بعض الناس؛ كتعلم السحر والخدع، بل وبإمكانهم تمييزها عن المعجزات، ولا يمكن أن يلتبس عليهم شيء من ذلك إلا جهلا منهم واستغفالا لهم. وهذا بخلاف الآيات التي أيد الله بها أنبياءه؛ ومنها ناقة صالح عليه السلام، فلا يخفى على أحد أنها ليست سحرا لأعين قومه ولا خدعة لهم. وعصى موسى، عليه السلام، فالكل يعلم أن الساحر لا يستطيع تحويل العصى ولا الحبل حقيقة إلى أفعى، وإنما يفعل ذلك على سبيل التخييل، ولهذا يعلم الناس أن السحر لا يعدو كونه خدعة، وأما تحويل عصا موسى إلى أفعى فهو آية من الله.

ومما يبين الفرق بين النبي والمتنبئ أن النبي إما أن يكون نبيا رسولا بعثه الله برسالة جديدة، أو أن يكون نبيا إنما أُمر باتباع رسالة آخر الرسل؛ كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: **{إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ}** [المائدة: 44]. والنبي في كلا الحالتين لا يأتي إلا بأوامر ونواهي من جنس ما أَمر به ونهى عنه الرسل والأنبياء قبله، خلافا لما يأتي به المتنبئ من بدع وضلالات.

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، (1422هـ)؛ كتاب تفسير القرآن، باب **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ}**، رقم 4770.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وهذا من أبرز علامات النبوة، ومن أكبر الأدلة التي يُحتج بها على من يدعيها؛ وبيان ذلك أن النبي لا يجوز أن يكون ممن يجهل الشرع بعد نبوته، أو أن يكون مخالفا لأصوله؛ فكل الأنبياء يَدْعون إلى عبادة الله وتوحيده والإحسان إلى الناس، فلا يأتي أحد منهم بخلاف الآخر في العقائد والأخبار؛ لأن الشرع في أصوله واحد؛ قال سبحانه: **{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [النحل: 123]، فالحنيفية السمحة هي أصل دعوة الرسل. ولا يَدْعُ أحد من الأنبياء للشرك أو يدّعي لنفسه الألوهية، كما يفعل كثير من أدعياء النبوة وكما سيفعله الدجال؛ قال تعالى: **{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** [آل عمران: 79 – 80]. فالنبوة تزيد صاحبها شرفا ورفعة، وتجعله إلى الله أقرب وبالناس أرحم.

وقد عقد ابن تيمية (ت 728هـ) في كتابه "النبوات" فصلا في الفروق بين آيات الأنبياء وغيرها، أشار في بدايته إلى أن بينها وبين غيرها من الفروق ما لا يكاد يحصى. ثم أورد فيه اثنى عشر فرقا يتلخص أبرزها في: أن النبي صادق فيما يخبر به، ومن خالفه من السحرة والكهان، لا بد أن يكذب. وأن النبي لا يأمر إلا بالعدل، وطلب الآخرة، وعبادة الله وحده، وأعماله البر والتقوى؛ فالعقول والفطر توافقه؛ كما توافقه الأنبياء قبله، ومخالفوه يأمرون بالشرك والظلم، ويعظمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان. وأن السحر والكهانة ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم، بخلاف آيات الأنبياء التي لا تكون إلا لهم. وأن الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلمه وسعيه واكتسابه، بخلاف النبوة؛ فإنه لا ينالها أحد باكتسابه. وأن ما يأتي به الكهّان والسحرة لا يخرج عن كونه مقدورا للجن والإنس، وآيات الرسل لا يقدر عليها لا جن ولا إنس. وأن أفعال السحر ونحوه يمكن أن تُعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يمكن أحدا أن يعارضها بمثلها. وأن هذه قد لا يقدر عليها مخلوق لا الملائكة ولا غيرهم؛ كإنزال القرآن وتكليم موسى، وتلك تقدر عليها الجن والشياطين. وأن النبي قد تقدمه أنبياء؛ فهو لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله؛ فله نظراء يعتبر بهم، وكذلك الساحر والكاهن له نظراء يعتبر بهم[1].

---

[1]. النبوات؛ ج1، ص558-560. ومن الفروق التي ذكرها هنا أيضا؛ الفرق بين كرامات الصالحين وآيات الأنبياء، حيث بين أن الكرامات معتادة في الصالحين وليست خارقة لعادة الصالحين، وآيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين، والكرامات تُنال بالصلاح؛ بدعائهم وعبادتهم، ومعجزات الأنبياء لا تُنال بذلك.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ولذلك «خلصت النبوة كلها لمهمتها الكبرى؛ وهي هداية الضمير الإنساني في تمام وعيه وإدراكه، فانقطع ما بينها وبين كل صناعة أو حيلة كان يستعان بها قديما على التأثير في العقول من طريق الحس المخدوع. فليس في النبوة سحر ولا كهانة ولا هي شعر يزخرفه قائله»[1]. فتجلت حقيقة النبوة وبراهينها المميزة للنبي عن غيره من المتنبئين والسحرة ونحوهم، وبذلك تقرر أن النبوة ليست بالأمر الذي يدركه أحد إلا نبي اصطفاه الله، وأن كل أدعياء النبوة لا تخفى حقيقتهم على ذوي العقول، مع أن البحث في أحوال الناس لتمييز النبي عن غيره لم يعد محتاجا إليه بعد ختم النبوة.

الفرع الثاني: المتنبئون والحركات التنبئية

تبين ضمن ما سبق أن المتنبئ هو مدعي النبوة، وأنه يمكن كشف كذبه مما يزعم أنه دليل نبوته؛ بما ينطوي عليه من تهافت، وما يقوم عليه من خدعة، إضافة لتجلي افتراء المتنبئ من أحواله وسيرته، وما يأتي به من بدع وضلالات.

وقد أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، بوقوع دعوى التنبؤ، وأشار إليها في سياق علامات الساعة، فأنبأ أنه سيخرج في هذه الأمة متنبئون يكذبون على الناس ويخدعونهم، فينبغي للأمة أن تحذر فتنهم ولا تنخدع بدعواتهم وأباطيلهم.

من تلك الأحاديث ما ورد عن الرسول، صلى الله عليه وسلم: ﴿**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ**﴾[2]، وفي رواية بزيادة: ﴿**فَاحْذَرُوهُمْ**﴾[3]. وبعضها صرح بأن عدد من يدعي النبوة سبعة وعشرون، وأن منهم أربع نسوة؛ ﴿**فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ وَدَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ: مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**﴾[4]. وجاء في بعضها أن عدد المتنبئين قريب من ثلاثين، كما في قوله، عليه الصلاة والسلام: ﴿**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**﴾[5].

---

1. العقاد، عباس محمود، مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية، كتاب الهلال 50؛ دار الهلال، القاهرة، مصر؛ رمضان 1374هـ/ماي 1955م، ص111.
2. أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت؛ رقم الحديث 2924، وأحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1421هـ/2001م)، عن جابر بن سمرة؛ رقم الحديث 20802.
3. أخرجه الإمام مسلم؛ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.
4. أخرجه أحمد في مسنده؛ رقم الحديث 23358. قال ابن حجر: أخرجه أحمد عن حذيفة بسند جيد؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت: 1379، ج13، ص93.
5. صحيح مسلم؛ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت، ومسند أحمد عن أبي هريرة؛ رقم 7187.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وورد أيضا تحديد عددهم بثلاثين في بعض الروايات المرفوعة؛ منها: ﴿**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا دَجَّالًا كُلُّهُمْ يَكْذِبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى رَسُولِهِ**﴾[1]، ومنها: ﴿**وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**﴾[2].

وورد في أحاديث أخرى تعيين بعض هؤلاء الكذابين وذكر أسمائهم؛ منها: ﴿**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ، مِنْهُمْ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ صَنْعَاءَ الْعَنْسِيُّ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ حِمْيَرَ، وَمِنْهُمُ الدَّجَّالُ وَهُوَ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**﴾[3]، كما صح عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه قال في خطبته يوم كسفت الشمس على عهده: ﴿**(...) وَإِنَّهُ وَاللهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا آخِرُهُمُ الْأَعْوَرُ الدَّجَّالُ، مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى**﴾[4].

فهذه الأحاديث أخبرت أنه منذ عهد النبي، عليه الصلاة والسلام، وما بعده سيظهر عدد من الدجالين؛ كذبهم فيه افتراء كبير على الله وإضلال للناس، حيث يزعم كل واحد منهم أنه نبي، فكانوا بذلك أظلم الخلق على الإطلاق، وحق عليهم الوعيد الشديد الوارد في قوله تعالى: {**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**} [الأنعام: 93]، كما يشملهم أيضا الوعيد الذي جاء في عدة آيات وردت بصيغة عامة تشمل المتنبئين وغيرهم من المفترين على الله؛ كقوله سبحانه: {**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} [الأنعام: 144].

---

1. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت؛ كتاب الملاحم، باب في خبر ابن صَائِدٍ، رقم 4334، ومسند الإمام أحمد، عن أبي هريرة.
2. سنن أبي داود؛ كتاب الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها. وورد في رواية أخرى بهذا اللفظ مع زيادة في آخره عبارة: ﴿**وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عز وجل**﴾؛ مسند الإمام أحمد؛ ضمن مسند الأنصار، عن ثوبان.
3. ابن حبان، أبو حاتم محمد، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (1414هـ/1993م)؛ كتاب التاريخ، باب إخباره، صلى الله عليه وسلم، عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، عن جابر بن عبد الله. وجاء في رواية أخرى بهذا اللفظ عن الحسن، رضي الله عنه، مرفوعا، مع تغيير عبارة: "وَمِنْهُمْ صَاحِبُ صَنْعَاءَ الْعَنْسِيُّ" بعبارة: "وَمِنْهُمُ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ"؛ ابن أبي شيبة، أبو بكر، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت؛ مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، 1409هـ؛ رقم 38529.
4. أخرجه الإمام أحمد في مسنده، عن سمرة بن جندب؛ رقم 20178. وورد بقريب من هذا اللفظ في صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت؛ رقم 1318.

علما أن الذين ادعوا النبوة عبر التاريخ، قديما وحديثا عدد يكاد لا يحصى، وأما تحديد عددهم في الأحاديث بحوالي ثلاثين؛ فليس مرادا به كل من ادعى النبوة مطلقا، وإنما القصد منه الذين يكثر أتباعهم وتقوم لهم شوكة وتكون لهم شهرة. ومن أولئك الأدعياء من خرجوا في الزمن النبوي، أو في عهد الصحابة، أو في العصور اللاحقة، وما زالوا يظهرون حتى عصرنا، وسيكون آخرهم المسيح الدجال.

وبالنظر في أخبار التاريخ واستقرائها نعلم أنه وجد عبر العصور القديمة كثير من المتنبئين، الذين تبين كذب دعاواهم وما جاؤوا به من افتراء وضلال. وقد اشتهر من أولئك الأدعياء في زمن الرسول الكريم، والصحابة؛ ثلاثة من الرجال، إضافة لامرأة، وهم الذين أشار إليهم ابن حجر في قوله: «وقتل الأسود قبل أن يموت النبي، صلى الله عليه وسلم، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر، ونقل أن سجاح أيضا تابت»[1].

وقد خرج مسيلمة الكذاب باليمامة في بني حنيفة، بعد أن وفد على الرسول، عليه الصلاة والسلام، بالمدينة سنة تسع للهجرة، فادعى النبوة حين رجع إلى اليمامة وراسل النبيَّ، عليه الصلاة والسلام، بهذا الشأن، حيث «كتب مسيلمة إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد، فقد أشركت في الأرض، فلي نصف الأرض ولقريش نصفها، غير أنّ قريشا قوم يعتدون». فقدم بكتابه إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رجلان، فلما قرئ على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الكتاب قال للرسولين: ﴿**لَوْلَا أَنَّكُمَا رَسُولَانِ لَقَتَلْتُكُمَا**﴾، ثم دعا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: ﴿**اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}** [الأعراف: 128]﴾»[2]، وكان مسيلمة يدعي أن له قرآنا نزل عليه، ويسجع بكلام سخيف مضطرب النسج مبتذل المعنى، ومع ذلك كثر أتباعه وعظم شره على المسلمين، حتى قضى عليه الصحابة في معركة اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

---

1. فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ ج 6 ص617.
2. أبو حنيفة النعمان، مسند أبي حنيفة رواية الحصكفي، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، دار النشر: الآداب، مصر، ط1، كتاب التفسير، ج1، ص180-181، البيهقي، أبو بكر، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت: ط1، ج 5 ص330.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتنبأ الأسود العنسي في آخر حياة النبي، صلى الله عليه وسلم، حيث ارتد عن الإسلام وادعى النبوة باليمن، واستولى على جميع أجزائه بضعة أشهر، وحين علم الرسول، عليه الصلاة والسلام، به كتب إلى المسلمين باليمن يأمرهم بمقاتلته، فدبروا الأمر وقتلوه.

وممن ادعى النبوة طليحة بن خويلد الأسدي، الذي قدم على النبي، صلى الله عليه وسلم، في وفد أسد سنة تسع فأسلموا، لكن طليحة تنبأ بعد رجوعه، وقد قاتله المسلمون مرارا، ثم تاب ولحق بجيش المسلمين، حتى استشهِد بنهاوند في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وادعت سجاح بنت الحارث التغلبية النبوة في خلافة أبي بكر، والتف حولها أناس غزت بهم القبائل، ثم نزلت باليمامة والتقت بمسيلمة فتزوجها، إلا أنها بعد مقتله أعلنت توبتها ورجعت إلى الإسلام.

وفي عصر التابعين خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي أظهر في البداية التشيع ومحبة أهل البيت والمطالبة بدم الحسين، فالتف حوله جماعة من الشيعة، وكثر أتباعه فتغلب على الكوفة، ثم ادعى النبوة[1]، والذي يؤكد أنه من الدجالين ما رواه أبو داود، بعد سياقه للحديث السابق الذي في ذكر الكذابين؛ أنه ﴿**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا دَجَّالًا، كُلُّهُمْ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ**﴾، عن إبراهيم النخعي أنه قال لعبيدة السلماني: «أترى هذا منهم، يعني المختار؟ قال: فقال عبيدة: أما إنه من الرؤوس»[2]، وقد دارت بين المختار وبين مصعب بن الزبير معارك قُتِل فيها المختار.

---

[1]. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ج6، ص617.

[2]. أخرجه أبو داود؛ كتاب الملاحم، باب في خبر ابن صَائِدٍ، بعد الحديث 4334؛ ج2، ص723-724. ويؤيد ذلك ما جاء عن أسماء بنت أبي بكر، في قصة مقتل ابنها عبد الله بن الزبير، حيث قالت وهي تخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي قاد الجيش لقتال عبد الله بن الزبير: "أما إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حدثنا أن في ثقيف كذابا ومُبِيرا، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المُبِير فلا إخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها"، صحيح مسلم؛ كتاب فضائل الصحابة، باب ذِكْرِ كَذَّابِ ثَقِيفٍ وَمُبِيرِهَا؛ رقم الحديث 2547، والمُبير: القاتل السفاح، كثير القتل. قال النووي: «وقولها في الكذاب "فرأيناه" تعني به المحتار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب ومن أقبحه؛ ادعى أن جبريل، صلى الله عليه وسلم، يأتيه، واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المحتار بن أبي عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف»؛ النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ط2، (1392ه)، ج16، ص100، والملاحظ أن النووي سمى ابن أبي عبيد الثقفي "المحتار" وليس "المختار".

ومن أولئك المتنبئين أيضا الحارث بن سعيد الكذاب الذي خرج في خلافة عبد الملك بن مروان؛ حيث أظهر التعبد في دمشق، ثم زعم أنه نبي، فجيء به إلى الخليفة، لكنه أبى أن يتوب فقتل. كما خرج جماعة من المتنبئين فيما بعد خلال خلافة العباسيين[1].

وفي العصر الحديث ظهرت حركات تنبئية مدعومة من أعداء الإسلام؛ أبرزها: الحركة البابية؛ نسبة إلى شخص إيراني ينتسب إلى التصوف، يسمى ميرزا علي محمد رضا الشيرازي، الذي لقب نفسه ب "الباب"، حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي، ثم أنه المهدي، وأخيرا زعم النبوة، وأنه أعظم مقاما من جميع الرسل، وأن كتابه "البيان" أحسن من القرآن، وأن ما أوحي إليه من دين أكمل من كل الأديان السابقة، وأنه نسخ الدين الإسلامي. ومن المؤكد أنه كان يلقى رعاية من الصهيونية والاستعمار بهدف تفكيك وحدة المسلمين؛ فما كان لدعاويه أن تظهر لولا المساندة الخارجية، وقد انتهى به الأمر مقتولا[2].

ثم قام بالأمر من بعده ميرزا حسين علي المازندراني الملقب ب "البهاء"، وسمى حركته "البهائية"، التي تعتبر مرحلة جديدة للبابية؛ حيث ادعى أولا أنه خليفة "الباب"، ثم زعم أنه الموعود المنتظر، ثم ادعى أنه نبي مرسل، وفي المرحلة الأخيرة ادعى أن الحقيقة الإلهية لم تنل كمالها الأعظم إلا بتجسدها فيه. وكان في ذلك مدعوما من الماسونية ودعاة الصهيونية[3].

كما ظهرت الحركة القاديانية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بقاديان؛ إحدى قرى البنجاب الهندية، وحظيت بمباركة ورعاية الاحتلال الإنجليزي. وكان مؤسسها هو ميرزا غلام أحمد القادياني، الذي بدأ نشاطه كداعية إسلامي، وادعى أنه مجدد الإسلام للقرن الرابع عشر الهجري، وانتقل إلى دعوى أنه المهدي، ثم أنه المسيح الموعود، وبعد ذلك زعم أن الحقيقة المحمدية تجسدت فيه، ثم أنه نبي مستقل، فصار له أتباع صدقوا دعوته سموا: "القاديانية" و"الأحمدية"[4]،

---

1. قال ابن حجر: «ومنهم الحارث الكذّاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فَقُتل، وخرج في خلافة بني العباس جماعة»؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ج6، ص617.
2. حيث «كان إعدام هذا الدعي يوم 28 من شعبان سنة 1266هـ»؛ شيبة الحمد، عبد القادر، البهائية إحدى مطايا الاستعمار والصهيونية، مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، السنة السابعة/العدد الأول (رجب 1394هـ/1974م)، ص21.
3. «وقد استمر حسين المازندراني هذا في نشر افتراءاته وإشاعة أراجيفه بواسطة المؤسسات الماسونية ودعاة الصهيونية العالمية، التي اتخذته مطية لقضاء مآربها وتحقيق أهدافها، إلى أن (...) هلك في اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة 1309هـ»؛ البهائية إحدى مطايا الاستعمار والصهيونية؛ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ ص23.
4. جعفر الهادي، معالم النبوة في القرآن الكريم-محاضرات جعفر السبحاني، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط2، (1405هـ/1984م)، ص129-130.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وكان موته سنة 1908م. وقد رد على مذهب القاديانية كثير من أهل العلم والفكر[1] وبينوا بطلان مزاعمها، على أن القاديانية استمرت في دعوتها، وما تزال قائمة على نشر مذهبها الضال عبر مختلف الوسائل.

وكان من الذين ادعوا النبوة أخيرا في هذا العصر: القسيس الأمريكي "أنيس شورّوش"، وهو من أصل عربي من نصارى مدينة الناصرة في فلسطين، حيث ألف كتابا أراد أن يجعله بديلا عن القرآن، مدعيا النبوة وزاعما أن الله أرسله نبيا للعالمين في القرن الحادي والعشرين الميلادي، وأنزل عليه كتابه الأخير: "الفرقان الحق"، وقد تم الرد على هذا الكتاب ببيان تهافته وكشف أباطيله، وكان من أبرز تلك الردود ما ضَمّنه الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه: "الانتصار للقرآن: تهافت "فرقان" متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن"[2].

وإضافة للمتنبئين المشار إليهم وغيرهم، ممن يلحق بهم وينحو منحاهم من الذين ظهروا قديما وحديثا بمعتقداتهم الفاسدة وإنكارهم للمعلوم من الدين بالضرورة؛ يبقى ظهور دجالين آخرين يدّعون النبوة واردا باستمرار، كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة، وكما ألمحنا فيما يرتبط باستمرار نشر بعض الحركات التنبئية لمذاهبها؛ كما هو واضح بشأن القاديانية.

الفرع الثالث: أسباب وعوامل التنبؤ

هناك أمور تستدعي الانتباه والتفحّص وتدقيق النظر بشأن خروج المتنبئين وظهور الحركات التنبئية؛ منها البحث في جذور وأسباب وعوامل نشأة وتبلور التنبؤ وحركاته، وكيف وجدت في البيئة الإسلامية تربة خصبة لنشر ضلالاتها، مع أنها حركات مناقضة لحقيقة الدين ومصادمة لثوابته وما يتعلق بعقيدة النبوة، ومع تحذير الأحاديث –المشار لبعضها آنفا– من الوقوع في ضلال المتنبئين وزيغهم.

---

1. وقد كان الشاعر والمفكر محمد إقبال من الذين ردوا على مذهب القاديانية؛ حيث كتب مقالات في مواجهة مزاعم القاديانية بين فيها بطلانها وكذب زعمائها وضلالهم؛ ينظر: إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط16، (1404هـ/1983م)، ص5-6.

2. كتاب: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، "الانتصار للقرآن: تهافت "فرقان" متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن"؛ يضم بين دفتيه 624 صفحة، وقد صدر عن مؤسسة الفرسان للنشر، عمان، الأردن: ط1، (2005م/1426هـ)، وضَمّنه مؤلفه تمهيدا عرف فيه بهذا المتنبئ: "أنيس شورّوش"، وكتابه المفترى: "الفرقان الحق" وما قيل عنه، ثم تناول بيان تهافت مكونات هذا الكتاب؛ ابتداء من مقدمته، ومرورا بكل سورة من سوره التي بلغ عددها سبعا وسبعين سورة، وانتهاء بخاتمته.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وعلى رأس الأسباب والعوامل المفسرة لوجود التنبؤ لدى المتنبئين؛ اختيارهم معتقدات فاسدة ضالة؛ لما أصيب به فكرهم من انحراف حَجَب عنهم الاستفادة من دلائل الإيمان، مع كونهم أشخاص مصابون باختلالات عقلية واضطرابات نفسية.

وإذا كان أتباع المتنبئين يقعون أحيانا تحت ضغوط أدعياء النبوة لاتباعهم وتبني أفكارهم، غير أن أولئك الأتباع ينساقون وراء المتنبئين ويصدقونهم، لأسباب وعوامل أخرى؛ منها ضعف التوعية بمبادئ الإسلام وحقيقته، وانتشار الجهل والأمية بينهم، إلى جانب اتباعهم لأهوائهم، وطاعتهم للمتنبئين الذين يعتبرونهم سادة وكبراء، حيث يصيرون سببا في ذيوع أمرهم واتساع شهرتهم، وعونا لهم على الإضلال.

ويضاف إلى عوامل ظهور المتنبئين والحركات التنبئية؛ المساندة والرعاية الخارجية، التي كان يلقاها المتنبئون وحركاتهم من الحاقدين على الإسلام والجهات المعادية له؛ كبعض الأحبار والرهبان، وكالصهاينة والمبشرين والمستعمرين، وما قاموا به من أدوار لإخراج مدعي النبوة في البلاد الإسلامية، من أتباع زعمائهم وحلفاء دعاتهم وعملائهم، مع دعمهم ونصرتهم، بهدف النيل من الدين الإسلامي وتمزيق الأمة.

ولعله غني عن البيان أن الوقاية من ضلالات المتنبئين ينبغي أن ترتكز أساسا على الحد من الأسباب والعوامل المساهمة في ظهور التنبؤ ونشر حركاته لأفكاره ومعتقداته الفاسدة؛ وذلك بتضافر الجهود لتبليغ حقيقة الإسلام وتعاليمه للناس، والتوعية بالمعرفة الشرعية الضرورية بكل الوسائل الممكنة؛ وعلى رأس ذلك التمكين من العلم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، إلى جانب التعريف بالنبي الخاتم وصفاته وسيرته، وتاريخ سائر الأنبياء، مع كشف حقيقة أصحاب الباطل، والتحذير من الوقوع في أسباب الضلال، وما تفضي إليه من الانخداع بافتراءات أدعياء النبوة، ضمانا لاستقرار الإيمان ورسوخ دعائمه في النفوس، وحفظ العقول من الآفات التي تفقدها القدرة على التمييز ومعرفة الحق.

المطلب الثالث: بين انتظار النبي الخاتم وإنكار ختم النبوة

إن من مستلزمات الإيمان بالأنبياء الاعتقاد بوجود بداية للنبوة ونهاية لها، ومع كون هذا الأمر من المسلمات التي لا يجادل فيها أتباع الرسالات السماوية؛ فإن الكثير منهم يماري في أن محمدا، صلى الله عليه وسلم، هو خاتم الأنبياء، مع عدم ادعائهم أن أحدا من الأنبياء الذين سبقوه ختمت به النبوة؛ ومن ذلك أن اليهود لا يعتقدون أن موسى عليه

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

السلام هو خاتم الأنبياء، وكذا النصارى لا يدعون أن خاتم الأنبياء هو عيسى عليه السلام. بل إنهم جميعا ينتظرون النبي الخاتم أو المخلص، ولا يؤمنون بمحمد، عليه الصلاة والسلام، مع وجود بشارات به عندهم تدل عليه وعلى أوصاف رسالته؛ كما تشير إلى ذلك الآيتان: **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}** [الأعراف: 157]، **{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}** [الصف: 6].

وباستقراء أبرز الأحداث التاريخية المرتبطة بهذه القضية في عهد الرسالة؛ يتبين أن العوامل والأسباب الأساسية التي منعت أولئك اليهود والنصارى من الإيمان بالنبي، صلى الله عليه وسلم، تمثلت في التعصب والكبر والجحود، وهي أسباب متداخلة فيما بينها أفضت بهم، مع سوء معتقدهم، إلى التحامل على معتقد من يخالفهم، فعملوا على محاربته بجميع ما يتوفرون عليه من وسائل؛ كما تجلى ذلك بوضوح في محاربة اليهود للدعوة الإسلامية، مع إنكارهم لنبوته، عليه الصلاة والسلام؛ حيث كانوا ينتظرون بعثة النبي الخاتم منهم.

وإذا كان من أشرنا إليهم من أتباع الرسالات السماوية ينتظرون منذ العصور القديمة النبي الخاتم، مع إنكارهم لنبوة خير العباد، إضافة لما كان لهم ولمن نحا منحاهم، فيما بعد، من أدوار في إخراج مدعي النبوة بالبلاد الإسلامية ودعمهم، لتشكيك المسلمين في عقيدتهم وزعزعة استقرارهم؛ فقد أنكر عقيدة ختم النبوة من أساسها في العصر الحديث أفراد وجماعات، يمثلون تيارا خطيرا يعمل على تضليل الناس، ويهدد الأمة والإنسانية بإثارة كثير من الفتن. ومن ثم فإن المنهج العلمي والوضع المنطقي يقتضي منا بيان الموقف المنكر لختم النبوة؛ حيث يتوسل الخارجون عن هذه العقيدة في إنكارهم لها ببعض الشبهات الواهية.

من ذلك قولهم إننا عهدنا تكرار النصح وتأكيد التنبيه وإعادة التحذير في الرسالات والكتب السماوية، كلما تطلب الأمر ذلك تذكرة للناس، ولا يتصور المرء أمرا أخطر في نتائجه من توقف الهداية والرحمة الربانية عن عباد الله. كما يتذرعون لدعواهم بظهور الحاجة في هذا العصر إلى إصلاح الأوضاع وهداية الناس وتجديد حياتهم، في عالم مضطرب صرفته الماديات عن الروحيات. ويعتبرون أن الاعتقاد بختم النبوة فيه سد لأبواب الهداية في وجه الناس، وصرفهم

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158 -204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

عن اتباع الأنبياء الذين يبعثهم الله إليهم؛ حيث يفسح، حسب دعواهم، الاعتقادُ بانقطاع الوحي الإلهي بعد النبي، صلى الله عليه وسلم، المجالَ لمن ينعتونهم بمدّعي الإصلاح من أصحاب الدعوات الإصلاحية، التي يصفونها بالسطحية.

ويحاولون رد الأدلة النقلية من القرآن على ختم النبوة، متذرعين إلى ذلك بأنه لم يرد ذكر ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ إلا في موضع واحد من القرآن كله؛ وهو الآية 40 من سورة الأحزاب، ويقولون إن ذكره لم يرد بصيغة قطعية في الدلالة على أنه، عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء، خاصة أن سياق الآية لم يكن في الحديث عن رسالات الله وبعثه لأنبيائه، وإنما ورد ذكره مرة واحدة في معرض الثناء على الرسول الكريم، وتمييزه عن باقي رجال أمته، وتركت الآية المجال واسعا، في نظرهم، لفهم كلمة ﴿خَاتَمَ﴾ (بفتح التاء) في الآية على أنها تعظيم لقدره، بين قومه وبين الأنبياء، بمعنى أنه ليس كأحد من رجال العرب بل هو رسول من الله وأفضل الأنبياء. فهم يؤولون «﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بـ"أفضل النبيين"؛ أي أن باب النبوة لا يزال مفتوحا، غير أن فضائل النبوة قد تمت على محمد، صلى الله عليه وسلم»[1].

وهناك تأويل آخر لهذه الطائفة التي أثارت فتنة نبوة جديدة؛ وهو تأويلهم لـ«﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ في هذه الآية بـ"طابع النبيين"؛ أي أن جميع الأنبياء الذين يأتون بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، إنما يكونون أنبياء لكونهم مطبوعين بطابعه، (فـ)لا يعد أحد بعده نبيا من الله ما لم يكن مطبوعا بطابعه»[2].

ويضيفون إلى ذلك قولهم «إن المراد من ﴿النَّبِيِّينَ﴾ الأنبياء ذوو الشريعة؛ أي أن محمدا، صلى الله عليه وسلم، خاتم للنبيين الذين جاؤوا بشريعة مستقلة»[3].

ومن الأدلة، في نظرهم، على أن وصف ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ لا يتعارض مع مجيء أنبياء مبعوثين من الله مستقبلا كما جاءوا في الماضي؛ الوعود والبشارات التي رددتها الأحاديث النبوية عن مجيء عيسى، عليه السلام، في آخر الزمان، لإنهاء الفتن وإصلاح العالم بعد أن يستشري فيه الفساد والظلم.

ومع أن الشبهات المشار إليها لا يمكنها زعزعة عقيدة ختم النبوة؛ إلا أننا في إطار إبطال كل من: دعوى انتظار النبي الخاتم، ودعوى إنكار عقيدة ختم النبوة، وما يرتبط بذلك ويتبعه من دعوى التنبؤ بعد البعثة المحمدية؛ سنقدم ما

---

1. المودودي، أبو الأعلى، ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة، ترجمة: خليل أحمد الحامدي، مكتبة الرشاد، الرياض، السعودية، (1403هـ/1983م)، ص8. وأيضا: إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل، مرجع سابق، ص269.
2. المودودي، أبو الأعلى، ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة، مرجع سابق، ص7. وينظر: إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل، مرجع سابق، ص269.
3. إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل، مرجع سابق، ص270.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يكفي من الأدلة والبراهين الدالة على ختم النبوة ببعثته، عليه الصلاة والسلام؛ بما فيها الأدلة النقلية ممثلة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، مع ما بني عليها من الإجماع، إضافة للأدلة العقلية الاجتهادية والواقعية؛ مما لا يدع مجالا لمزاعم وشبهات الخارجين عن هذه العقيدة، ويُلزمهم بالإدعان لما تدل عليه الحجج القطعية؛ القاضية بخاتمية الرسالة المحمدية.

المبحث الثاني: دلائل ختم النبوة بالرسالة الإسلامية

المطلب الأول: الأدلة والأسس النقلية والإجماع المبني عليها

يعتقد المسلمون منذ عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، أن النبوة قد ختمت به وأن رسالته هي آخر الرسالات، وهذه عقيدة أجمعت الأمة عليها، ومعلومة من الدين بالضرورة، فيكفر جاحدها؛ ولذلك حارب المسلمون قديما المتنبئين، كما ألمحنا سابقا، باعتبارهم خارجين عن الإسلام. حيث قامت عقيدة الخاتمية على أدلة نقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، اعتبرت بمثابة الأسس والأصول الدينية الثابتة لهذه العقيدة، ولم تقم فقط على مجرد ما يدل عليه النظر والاستدلال العقلي والواقعي المؤكد لها.

الفرع الأول: النصوص القرآنية

إذا تتبعنا نصوص القرآن الكريم نجد بعض آياته تنص على ختم النبوة بالبعثة المحمدية، والمعتمد في الاستدلال من التنزيل على ذلك؛ ثلاث آيات:

– الآية الأولى هي قول الله تعالى: **{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}** [الأحزاب: 40]، فهذه الآية صريحة في أنه، عليه الصلاة والسلام، خاتم النبيين. والخاتم اسم آلة لما يختم به كالطابع لما يطبع به، وخاتم كل شيء وخاتمته: عاقبته وآخِرُه، واخْتَتَمْتُ الشيء؛ نَقيض افتَتَحْتُه، وخِتامُ القَوْم وخاتِمُهُم وخاتَمُهُم: آخرُهم، والخاتِم والخاتَم من أسماء النبي، صلى الله عليه وسلم[1]. فمعنى **{خَاتَمَ النَّبِيِّينَ}** الذي خُتم النبيون به، ومآله آخر النبيين. وقد قرأ عاصم **{خَاتَمَ}** بفتح التاء، بمعنى أنهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم. وقرأ الجمهور **{خَاتِمَ}** بكسر التاء على أنه اسم فاعل؛ أي الذي ختم النبيين وجاء آخرهم. وفي قراءة ابن مسعود "ولكن

---

1. ابن منظور، لسان العرب؛ حرف الميم "م"، فصل الخاء المعجمة، مادة "ختم"، مرجع سابق، ج12 ص164.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

نبيا ختم النبيين"[1]، والمراد بالنبي ما هو أعم من الرسول فيلزم من كونه، عليه الصلاة والسلام، خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين، والمراد بكونه خاتمهم انقطاع حدوث النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه بها؛ لأن رسالته عامة ونبوته معها إعجاز القرآن الذي تكفل الله بحفظه، فلا حاجة، مع ذلك، إلى نبي أو رسول بعده، ولأن فائدة إتيان نبي من الأنبياء تتميم شيء لم يأت به من قبله، وقد حصل بالنبي الأمين التمام فلم يبق بعد ذلك مرام، كما يستفاد من الآية الآتية.

– الآية الثانية هي التي ورد فيها قول الله عز وجل: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}** [المائدة: 3]، وهي توضح وضوحا تاما لا لبس فيه أن الدين قد كمل، وأن الله قد أتم نعمة الإسلام على الناس بالنصر والإظهار. وعن ابن عباس قال: أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه فلا ينقص أبدا، وقد رضيه فلا يسخطه[2].

ومعنى إكمال الدين إتمام معظم الحدود والفرائض والحلال والحرام؛ كما يفيده ما جاء في تفسير القرطبي (ت 671هـ) أن الدين عبارة عن الشرائع التي شَرَعَ الله لنا، فإنها نَزَلَت نُجوما وآخر ما نَزَلَ منها هذه الآية، ولم يَنْزِل بعدها حُكْمٌ، قاله ابن عباس والسُّدِّيُّ. وقال الجمهور: المراد معظم الفرائض والتحليل والتحريم، قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير، وَنَزَلَت آية الربا، وَنَزَلَت آية الكلالَة، إلى غير ذلك، وإنما كمل معظم الدين وأمر الحج. ومعنى قوله تعالى: **{وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}**؛ أي بإكمال الشرائع والأحكام، وإظهار دِين الإسلام، وإتمام أسباب الهداية والتوفيق. ومعنى **{وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}**؛ أي ورضيت إسلامكم الذي أنتم عليه اليوم دينا باقيا بكماله لا أنسخ منه شيئا[3].

وقد فهم بعض الصحابة عند نزول هذه الآية اقتراب أجل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حيث بلَّغ الرسالة وتمت نعمة الله على عباده، وكان نزولها يوم عرفة في حجة الوداع[4]. ومنها يتضح أن دين الإسلام قد كمل بانتقال سيد المرسلين إلى ربه؛ فالإخبار بكمال الدين في الآية فيه دلالة واضحة على ختم الرسالات والنبوات، ومن ثم أصبح هذا

---

1. القرطبي، أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة: ط2، (1384هـ/1964م)، ج14، ص196-197.
2. السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التأويل بالمأثور، دار الفكر، بيروت: 1993م، ج3، ص17.
3. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج6، ص61-63.
4. روى البخاري في صحيحه أنه: «قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت، وأين رسول الله، صلى الله عليه وسلم حين أنزلت يوم عرفة، وإنَّا والله بعرفة»، صحيح البخاري؛ كتاب تفسير القرآن، باب قوله اليوم أكملت لكم دينكم، ج2 ص926، رقم الحديث 4606.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الدين دينا خالدا لا يقبل النسخ بغيره بعد أن نسخ سائر الأديان؛ لما فيه من الكمال والوفاء بحاجات البشر، والصلاحية للبقاء والاستمرار.

– الآية الثالثة هي قول الله سبحانه: **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}** [المائدة: 48]، فالقرآن وُصف في الآية بوصفين: الأول؛ تصديقه لما بين يديه من الكتب المنزلة على الرسل السابقين. والثاني؛ هيمنته على جميع تلك الكتب؛ «فهو مراقب أمين يشهد على الكتب النازلة قبله بالصحة في مورد وبالتحريف في مورد آخر، ولو أراد أهل الكتب الوصول إلى الحق الواضح، لرجعوا إلى ذلك الكتاب، لأنهم لم يُؤتوا علم كتابهم كله، بل **{أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ}** [آل عمران: 23]»[1]. وقد شهد القرآن بأن أيدي التحريف طالت ما أنزل إلى أصحاب الكتب السماوية السابقة من ربهم؛ قال تعالى: **{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}** [البقرة: 79]، وبين سبحانه أنهم كانوا **{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ}** [المائدة: 13]؛ فأخبرنا عما آلت إليه كتبهم، حيث لم تحفظ أصولها؛ لذا كان القرآن مهيمنا عليها؛ لأنه، كما وصفه الله، تبيان لكل شيء، ومحفوظ بحفظه تعالى، فكانت شريعته خاتمة الشرائع.

الفرع الثاني: السنة النبوية

الأدلة على ختم النبوة من السنة كثيرة؛ حيث تضافرت العديد من الأحاديث الصحيحة والصريحة في الدلالة على انقطاع النبوة بعد محمد، صلى الله عليه وسلم؛ فمن ذلك قوله: ﴿**مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ**﴾[2]، وفي رواية: ﴿**فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**﴾[3]. فقد شبه، عليه الصلاة والسلام، النبوة ببيت لبناته هم الأنبياء، وأن البيت قد بُنِي وجُمِّلَ وكمل ولم يبق إلا موضع لبنة واحدة ما يزال البيت بدونها ناقصا، فأكمل الله به، عليه الصلاة والسلام، بناء النبوة.

---

1. جعفر الهادي، معالم النبوة في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص144، والآية المستشهد بجزء منها هي: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ}** [آل عمران: 23].
2. أخرجه الإمام مسلم في صحيحه؛ كتاب الفضائل –باب: ذكر كونه، صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين، عن جابر.
3. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه؛ كتاب المناقب –باب: خاتم النبيين، صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ومن ذلك أيضا قوله، صلى الله عليه وسلم: ﴿**لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي إِلَّا الْمُبَشِّرَاتِ**﴾، قِيلَ: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: ﴿**الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ**﴾ أَوْ قَالَ: ﴿**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**﴾[1]. وقال، عليه الصلاة والسلام: ﴿**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**﴾[2]. وقال: ﴿**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**﴾[3]. ومنها أن النبي الكريم خرج إلى تبوك واستخلف عليا، فقال علي: "أَتُخَلِّفُني في الصبيان والنساء؟" فقال له، صلى الله عليه وسلم: ﴿**أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**﴾[4].

وخطَبَ، عليه الصلاة والسلام، فكان من قوله: ﴿(...) **وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ**﴾[5]. وفي نفس المعنى جاء قوله: ﴿**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ**﴾[6]. وقال أيضا: ﴿**فَإِنِّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ الْمَسَاجِدِ**﴾[7]. وقال: ﴿**أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفَّع ولا فخر**﴾[8]. وجاء ضمن حديث طويل أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟** (...) (فيستشفع الناس بالأنبياء، حتى يصلوا إلى النبي، صلى الله عليه وسلم)، **فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ**

1. أخرجه الإمام أحمد؛ مسند الأنصار -حديث أبي الطفيل عامر بن وائلة.
2. أخرجه مسلم؛ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، والترمذي في سننه، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م؛ كتاب السير -باب ما جاء في الغنيمة، وأخرج نحوه الإمام أحمد؛ باقي مسند المكثرين من الصحابة؛ مسند أبي هريرة.
3. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه؛ كتاب أحاديث الأنبياء -باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والإمام مسلم في صحيحه؛ كتاب الإمارة -باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.
4. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه؛ كتاب المغازي –باب: غزوة تبوك.
5. أخرجه ابن ماجه في سننه؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، (1430هـ/2009م)؛ كتاب الفتن، بَاب: فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَخُرُوجِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، رقم 4077، عن أبي أمامة البَاهِلِيِّ.
6. الطبراني، سليمان بن أحمد، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1405هـ/1984م)، رقم الحديث 834.
7. أخرجه مسلم؛ كتاب الحج، باب فَضْلِ الصَّلَاةِ بِمَسْجِدَيْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، رقم 1396، عن أبي هريرة.
8. أخرجه الإمام أحمد، والدارمي، عبد الله، سنن الدارمي (مسند الدارمي)، تحقيق: حسين سليم الداراني، دار المغني، السعودية، ط1، (1412هـ/2000م)؛ رقم الحديث 5764، عن جابر رضي الله عنه.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، (...)﴾[1]. وأسماء الرسول الأمين تدل على أنه خاتم النبيين، حيث قال، عليه الصلاة والسلام: ﴿**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**﴾[2].

وأما الأحاديث الواردة في نزول عيسى، عليه السلام؛ فهي تؤيد عقيدة ختم النبوة أيضا، وليس كما يدعي المنكرون لهذه العقيدة، ومنها قوله، صلى الله عليه وسلم: ﴿**الأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ لِعَلاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلا الإِسْلامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَتَقَعُ الأَمَنَةُ فِي الأَرْضِ (...)**﴾[3].

فإن الذي يجيئ هو عيسى بن مريم، عليه السلام، وإنه ينزل ولا يولد، ولا ينزل كنبي مبعوث من الله؛ إذ لا ينزل عليه الوحي، ولا يأتي من الله برسالة جديدة أو أحكام جديدة ولا يضيف إلى الشريعة المحمدية ولا ينقص منها شيئا، ولا يعاد إلى الدنيا لدعوة الناس لدين جديد أو للدعوة إلى الإيمان به أو لتشكيل أمة مستقلة من الذين يؤمنون به، وإنما يعاد ليقوم بمهمة استئصال فتنة الدجال، وأنه بعد نزوله يضم نفسه إلى جماعة المسلمين ويصلي خلف إمامهم[4].

الفرع الثالث: إجماع الصحابة وعلماء الأمة

بناء على الأدلة القطعية التي تضمنتها كل من النصوص القرآنية المذكورة آنفا، وما معها من الأحاديث الكثيرة التي أوردنا بعضها؛ قامت عقيدة ختم النبوة عند المسلمين، ففهمت الأمة من ذلك عدم بعث نبي أو إرسال رسول بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، أبدا، وأن هذا الأمر ليس فيه تأويل ولا تخصيص؛ حيث أجمع الصحابة والعلماء من

---

1. أخرجه البخاري؛ كتاب تفسير القرآن، بَاب: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}، رقم 4712.
2. أخرجه مسلم؛ كتاب الفضائل، بَاب فِي أَسْمَائِهِ، صلى الله عليه وسلم، رقم 2356، وأخرجه البخاري بلفظ قريب مما ذكرنا، وفي آخره ﴿**وَأَنَا الْعَاقِبُ**﴾ دون الزيادة المبينة لمعنى العاقب؛ كتاب المناقب، بَاب مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، رقم 3532.
3. أخرجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه؛ كتاب التاريخ، باب إخباره، صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث؛ ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ يُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلامِ، عن أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (1414هـ/1993م)، ج15، ص233-235.
4. المودودي، ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة، مرجع سابق، ص46-47.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

بعدهم على ذلك. فمما «قد اتفقت عليه الروايات التاريخية الموثوق بها؛ أن الصحابة حاربوا بإجماعهم كل من قام بدعوى النبوة بعد وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم، والذين آمنوا بنبوته (أي المتنبئ) وعاونوه على إظهار أمره»[1]، ودعموا دعوى تنبئه.

كما أن علماء الأمة أكدوا جميعا، في كل زمان ومكان بعد القرن الأول وإلى عصرنا، أنه لا نبي بعد محمد، عليه الصلاة والسلام، وأن كل من ادعى بعده النبوة أو صدق مدع للنبوة في دعواه فهو كافر. وشواهد ذلك كثيرة في أقوال الأئمة والعلماء من عدة بلدان إسلامية وفي عصور مختلفة[2]. وقد نقل أبو الأعلى المودودي (ت 1399هـ) شواهد من أقوال أولئك العلماء، ثم قال: «ومما يثبت بهذه الأقوال قطعا أن العالم الإسلامي منذ القرن الأول إلى هذا اليوم ما زال يرى معنى **{خَاتَمَ النَّبِيِّينَ}**: آخرهم الذي لا نبي بعده، وأنه ما زال المسلمون مجمعين على عقيدة انسداد باب النبوة إلى أبد الآباد بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، وأنه لم يختلف اثنان منهم قط في أن كل من قام بدعوى النبوة بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، أو صدقه في دعواه وآمن بنبوته الزائفة، هو كافر خارج من دائرة الإسلام»[3].

المطلب الثاني: الأدلة والأسس العقلية والواقعية

تتأكد عقيدة الخاتمية بالنظر القائم على الدلائل والبراهين العقلية الصريحة، وما يدعمها من الحقائق الواقعية، بما تنطوي عليه تلك الدلائل والحقائق من الأسس التي تنبني عليها خاتمية الرسالة الإسلامية، من خلال جوانب ثلاثة مكملة لبعضها؛ تتحدد في: استقراء أسباب ودواعي تجدد الرسالات السماوية السابقة، المثبت لانتفاء دواعي تجددها بعد البعثة المحمدية، مع ما يؤكد ذلك من مميزات الرسالة الإسلامية ومزاياها؛ المتجلية في كمالها من جميع الجوانب، إضافة لأفضلية النبي الأمين ومكانته العليا بين الأنبياء؛ الدالة على خاتمية رسالته وعالميتها.

الفرع الأول: انتفاء دواعي تجدد الرسالة السماوية

---

[1]. ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة، مرجع سابق، ص19.
[2]. منهم أبو حنيفة (المتوفى 150هـ)، وابن جرير الطبري (المتوفى 310هـ)، والطحاوي (المتوفى 321هـ)، وابن حزم الأندلسي (المتوفى 456هـ)، وأبو حامد الغزالي (المتوفى 505هـ)، والبغوي (المتوفى 510هـ)، والزمخشري (المتوفى 538هـ)، والقاضي عياض (المتوفى 544هـ)، والشهرستاني (المتوفى 548هـ)، والرازي (المتوفى 606هـ)، والبيضاوي (المتوفى 685هـ)، والنسفي (المتوفى 710هـ)، وعلاء الدين علي بن محمد البغدادي (المتوفى 725هـ)، وابن كثير الدمشقي (المتوفى 774هـ)، وجلال الدين السيوطي (المتوفى 911هـ)، وابن نجيم (المتوفى 970هـ)، والملا علي القاري (المتوفى 1016هـ)، وإسماعيل الحقي (المتوفى 1037هـ)، والشوكاني (المتوفى 1255 هـ)، والألوسي (المتوفى 1270هـ)؛ ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة؛ ص22 -28.
[3]. المودودي، ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة، مرجع سابق، ص29.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

جرت سنة الله أن يبعث الأنبياء ويرسل الرسل متتابعين؛ كلما تجددت الحاجة إليهم ووجدت الأسباب الداعية إلى تجديد الرسالة الإلهية؛ لذا يحق التساؤل عن مدى وجود الحاجة إلى بعث نبي بعد سيد المرسلين، مما يُلزم الوقوف على تلك الأسباب؛ التي تتلخص في: اندثار وانمحاء رسالة النبي السابق، مما يدعو لتجديدها. أو انحصار رسالة النبي في أمة معينة، مما يتطلب إرسال نبي آخر لأمة أخرى، حسب ما يناسب كل أمة من بعض تفاصيل الشرائع. أو عدم وفاء النبي السابق بتلبية جميع حاجات الأمة في أحوالها المختلفة؛ لعدم كمال رسالته من جميع الوجوه؛ بالنظر إلى تبدل أحوال الأمة، مما يستدعي تتميمها. أو تحريف ما تضمنته الرسالة السابقة من طرف أتباعها مع مرور الزمن، مما يجعلها في حاجة إلى تقويم وتصحيح ذلك التحريف.

وإذا نظرنا إلى أبرز الرسالات السماوية وشرائعها السابقة للإسلام، نلاحظ أن كل واحدة منها قد أصابها أحد الأسباب –أو بعضها– الداعية إلى تجديدها ببعث نبي لاحق؛ فتتبع تلك الرسالات يفيد تسجيل الملاحظات الآتية:

– أولا: الرسالة الإبراهيمية المتمثلة في صحف إبراهيم، عليه السلام، لم يعد يوجد منها شيء على الإطلاق؛ حيث فقدت واندثرت منذ زمن طويل.

– ثانيا: رسالة داود، عليه السلام، الذي أرسل إلى قومه بني إسرائيل، وتتمثل رسالته في كتاب الزبور؛ حيث أخبرنا الله أنّ داود تلقّى هذا الكتاب من عنده: **{وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}** [النساء: 163] و[الإسراء: 55]. يقول القرطبي (ت 671هـ): «الزبور كتاب داود، وكان مائة وخمسين سورةِ ليس فيها حُكم ولا حلال ولا حرام، وإنما هو حِكم ومواعظ»[1]. على أن الزبور لم يعد يوجد منه أصل ثابت، وأما الذي يوجد فأغلبه محرف، وهو يضم كثيرا من الأناشيد والأشعار، مع بعض النصوص في الأحكام والقصص وغيرها، مما ليس من الأصل وإنما أدخله عليه الأحبار والرهبان، ولكثرة الأناشيد به لا يجعله اليهود والنصارى أصلا معتبرا عندهم، وإن كان اعتباره أكثر عند اليهود، وإنما يتخذونه كتابا للتسابيح والإنشاد.

– ثالثا: اليهودية، متمثلة أصولها في التوراة المنزلة على موسى، عليه السلام، كانت رسالة خاصة بقوم موسى، عليه السلام، موجهة لبني إسرائيل فقط دون غيرهم، كما تدل على ذلك آيات قرآنية؛ منها هاتان الآيتان: **{وَجَاوَزْنَا**

[1]. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 6، ص17.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: 138]، **{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا}** [الإسراء: 2].

وهذه الرسالة كانت تُركز على معالجة قضايا الجانب العملي؛ فاهتمت بالنواحي التشريعية في العلاقات الإنسانية، أكثر من اهتمامها بمعالجة الجانب الروحي. إضافة إلى أن التوراة الأصلية المنزلة على موسى، عليه السلام، لم تعد موجودة على الإطلاق منذ زمن طويل، وأما التوراة الموجودة فهي محرفة ومبدلة. وبذلك يتبين أن اليهودية لا تصلح أن تكون الرسالة الخاتمة.

– رابعا: المسيحية، التي تتمثل أصولها في الإنجيل المنزل على عيسى، عليه السلام، وهي أيضا رسالة خاصة ببني إسرائيل؛ حيث شهد بذلك القرآن: **{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ}** [الصف: 6]، كما ورد عن عيسى، عليه السلام، في مواضع من الإنجيل أنه إنما بعث لبني إسرائيل؛ منها أنه لما بدأ الدعوة إلى الله، أعلن أنها قاصرة عليهم ولا تمتد إلى غيرهم، لذلك قال للمرأة الكنعانية: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ»[1].

وهذه الرسالة مع إقرارها للمبادئ التي جاءت بها اليهودية، إلا أنها لم تهتم كثيرا بالنواحي التشريعية والقانونية التي تنظم العلاقات الإنسانية داخل المجتمع، فكان الطابع البارز فيها هو الاهتمام بالجانب الروحي، ومن هذه الزاوية نظر اليهود للمسيحية على أنها رسالة ناقصة؛ ولذلك لا بد لاكتمالها من اعتبار الرسالة المتضمنة في التوراة هي جزءها الأول؛ لأنها تهتم بالجانب العملي التشريعي، فيتم ضم العهد القديم "التوراة" إلى العهد الجديد "الإنجيل" ليكمل كل منهما الآخر.

علما أن الإنجيل الأصلي الذي أنزل على عيسى بن مريم لم تعد توجد منه أي نسخة، وأما الأناجيل الموجودة فهي محررة بعد فقدان الإنجيل الأصلي؛ ولذلك تعددت الأناجيل بتعدد أصحابها وبلغت عددا كبيرا، ثم قامت الكنيسة في مجامعها المختلفة بنقص عددها إلى أن حصرتها في خمسة أناجيل هي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا،

[1]. إنجيل متى، طبع جمعية التوراة الأميركانية، بيروت، المطبعة الأميركانية، (1910م)؛ الأصحاح الخامس عشر، عدد 24، ص72.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وإنجيل يوحنا، وإنجيل برنبا، ثم حذفت هذا الأخير، واقتصرت على إقرار الأربعة الأخرى، التي تنطوي على العديد من الاختلاف والتناقض فيما بينها، مع معارضة بعض مضامينها لصريح المعقول؛ ومن ذلك اعتبارها أن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة تبعا لعقيدة التثليث[1]!

وهذه الأمور التي رأينا اقتضت إتيان رسالة جديدة، وهي رسالة الإسلام التي بُعث بها محمد، صلى الله عليه وسلم، وبإثبات أنه لم يصبها شيء من الأسباب الداعية إلى تجديدها يتقرر أنها الرسالة الخاتمة. وبالنظر فيها نجد أنها ظلت سليمة ضمن النص القرآني، الذي تعهد سبحانه بحفظه من الضياع ومن أي تحريف؛ في قوله تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [الحجر: 9]، ولذلك لم تتعرض أصول هذه الرسالة للاندثار أو التحريف، بل إنها بقيت في أصولها كما كانت منذ ما يربو على أربعة عشر قرنا، وبذلك بقي الإسلام محفوظا؛ لأنه النور الذي بعث الله به خاتم أنبيائه لهداية الناس جميعا.

ولما كان القرآن هو أكبر آية على صدق نبوة خير العباد، باعتباره معجزته الكبرى والدائمة؛ فقد شكّل أيضا حجة دائمة على الناس بعد وفاته، بخلاف معجزات سائر الأنبياء؛ حيث كان الله يبعث كل نبي الى قومه خاصة، فيريهم آية أو آيات نبوته، فتكون حجة عليهم، ولا تكون لها خاصية الاستمرار لتبقى حجة على من بعدهم؛ فمن تلك الآيات والمعجزات؛ ناقة صالح عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى: **{قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}** [الشعراء: 155 – 158]، ومنها تأييد موسى عليه السلام بالمعجزات؛ التي منها عصاه، وآيات أخرى، كما أخبر الله تعالى: **{فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ}** [الشعراء: 44 – 48]، **{وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ}** [الأعراف: 132 – 133]، ومنها أيضا آيات نبوة عيسى عليه السلام، كما

---

[1]. حيث يقول النصارى بالأقانيم الثلاثة، ويزعمون أن طبيعة الله، سبحانه وتعالى، عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، الله الابن، الله روح القدس. ويعبرون عن ذلك بقولهم: الله واحد، وهو ثلاثة أقانيم متساوية.

ورد في قوله سبحانه: **{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}** [المائدة: 110]، وهكذا حال كل آيات صدق الأنبياء.

كما أن احتفاظ الرسالة بمحتواها العقائدي والتشريعي هو الذي يمكّنها من مواصلة دورها التوجيهي والإصلاحي، ومن أجل ذلك كانت سلامة الرسالة الإسلامية بسلامة النص القرآني ضرورية لقدرتها على مواصلة تحقيق أهدافها. فحفظ الكتاب من التبديل والتحريف دليل على الخاتمية، حيث لم يتكفل الله بحفظ كتب الرسالات السابقة كما تكفل بحفظ القرآن؛ لكون تلك الكتب جيء بها على التوقيت، أما القرآن فجيء به للدوام مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة، وزائدا عليها ما ستحتاجه البشرية في مسيرتها.

وذلك وفق عموم الرسالة الإسلامية؛ فهي عامةٌ للبشر جميعا وليست خاصة بقوم دون غيرهم، كما دلت على ذلك عدة آيات؛ منها قوله تعالى: **{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف: 158]، ومنها أيضا الآيات الآتية: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [سبأ: 28]، **{وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}** [النساء: 79]، **{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ}** [الحج : 49]، **{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}** [ص: 87]، **{هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}** [إبراهيم: 52]، **{هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}** [آل عمران: 138]. وفي هذا المعنى عن أبي هريرة؛ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**﴾[1].

وأما الآيات التي وردت بصيغة الخصوص؛ فذكرت أن دعوته، صلى الله عليه وسلم، موجهة لقومه؛ مثل هاته الآيات: **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}** [الشعراء: 214]، **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا}** [الشورى: 7]، **{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}** [الزخرف: 44]؛ فقد كان ذلك في بداية الأمر بإظهار الدعوة

---

[1]. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت: ط1؛ كتاب الإيمان، الحديث 98، ج1، ص35، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا فَقَدِ احْتَجَّا جَمِيعًا بِمَالِكِ بْنِ سُعَيْرٍ، وَالتَّفَرُّدُ مِنَ الثِّقَاتِ مَقْبُولٌ. وأخرجه الدارمي مرسلا عَنْ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ، صلى الله عليه وسلم، يُنَادِيهِمْ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**﴾، سنن الدارمي؛ باب كيف كان أول شأن النبي، الحديث 15.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إلى الله، حيث كانت الدعوة أولا إلى أقرب الناس إلى النبي الكريم، وهم عشيرته الأقربون، ثم توسعت لتعم بلدته أم القرى، مرورا بمن حولها، ثم انتقلت إلى دعوة سائر العرب، وصولا بها إلى دعوة جميع الناس. والناظر المستبصر في تاريخ دعوته يرى ذلك واضحا في تدرج منهج الدعوة من الأقرب إلى الأبعد.

وتأكيدا للصورة العملية التي نهجها نبي الرحمة في توضيح عالمية الإسلام، وبيان عدم قوميته وأنه ليس للعرب دون غيرهم وإنما هو لكافة الناس؛ نسجل ما قام به في السنة السادسة من الهجرة، حيث أرسل كتبا إلى ملوك وحكام ذلك العصر يدعوهم فيها إلى الإسلام؛ فقد أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى كسرى ملك فارس، وإلى هرقل قيصر الروم، وإلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين، وإلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، وإلى ملك عمان[1]؛ وبهذه الكتب كان عليه الصلاة والسلام قد أبلغ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض في عصره، مما يؤكد أن رسالته عامة لكافة البشر.

ولما كانت كذلك؛ فإن هذا الأمر يدل على أن الشريعة قد اكتملت بنبوة سيد المرسلين، كما يؤكد النورسي، وأن البشرية قد بلغت سن الرشد، ولم يبق إلا اتباع الهدى والانتفاع بما ساقته العناية الإلهية لبلوغ الغاية من السعادتين في الدنيا والآخرة؛ حيث جاءت نبوته، عليه الصلاة والسلام، تتويجا للنبوات والرسالات الإلهية عبر القرون المتطاولة، فكانت مسك الختام لسلسلة الهبات الإلهية للجنس البشري في هذا المجال[2].

الفرع الثاني: كمال الدين الإسلامي من جميع الجوانب

الإسلام بمعناه القرآني يشمل جميع الأديان السماوية؛ لأنه اسم للدين المشترك الذي نادى به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباعهم؛ كما جاء في عدة آيات قرآنية؛ منها ما ورد على لسان نوح، عليه السلام، في قوله لقومه: **{فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}** [يونس: 72]، وما في وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لأبنائهما: **{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** [البقرة: 132]، وما في جواب أبناء يعقوب عليه السلام لأبيهم، كما أخبر تعالى: **{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ**

---

1. ينظر: المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم.. بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار الوفاء، المنصورة: ط2، (1420هـ/2000م)؛ ص358 وما بعدها.
2. سعد عبد الله عاشور، النبوة في فكر النورسي، مرجع سابق، ص506.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**} [البقرة: 133]، وما أخبر به سبحانه عن قول موسى، عليه السلام، لقومه: **{وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ}** [يونس: 84]، وما جاء في القرآن حكاية عن الحواريين فيما قالوا لعيسى عليه السلام: **{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}** [آل عمران: 52]، بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن فآمنوا به صرحوا بأنهم كانوا قبله مسلمين؛ كما جاء في قوله تعالى: **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ}** [القصص: 52 – 53].

وحقيقة هذا الدين المشترك الذي اسمه الإسلام، والذي هو دين كل الأنبياء؛ «هو التوجه إلى الله رب العالمين في خضوع خالص لا يشوبه شرك، وفي إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أي لسان وفي أي زمان أو مكان، دون تمرد على حكمه، ودون تمييز شخصي أو طائفي أو عنصري بين كتاب وكتاب من كتبه، أو بين رسول ورسول من رسله (...).

غير أن كلمة الإسلام قد أصبح لها في عرف الناس مدلول معين، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التي جاء بها محمد، صلى الله عليه وسلم، أو التي استنبطت مما جاء به، كما أن كلمة اليهودية أو الموسوية تخص شريعة موسى، وما اشتق منها، وكلمة النصرانية أو المسيحية تخص شريعة عيسى، وما تفرع منها»[1].

وهذا المدلول الأخير هو الذي يعنينا؛ فمقصودنا عن كمال الدين الإسلامي، هو ما تمتاز به رسالة النبي الأمين وشرائعها من الكمال، في جوانبها المختلفة، الدال على الخاتمية؛ باعتبار أن كمال هذا الدين يدل على عدم حاجة الإنسان إلى دين بعده؛ لأنه يقدم للإنسان ما من شأنه أن يحقق به ما ينشده من سعادة.

ويرجع كمال الإسلام لكونه جاء تتويجا للرسالات السماوية وشرائعها الإلهية المتعاقبة، التي يصدّق بعضها بعضا، وإن كان هذا التصديق، كما بين الدكتور محمد عبد الله دراز (ت 1377هـ)، على ضربين؛ تصديق للقديم مع الإذن باستمراره، وتصديق له مع إبقائه في حدود ظروفه الماضية، بالنظر إلى أن الشرائع السماوية تحتوي على نوعين من

---

[1]. دراز، محمد عبد الله، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت: ط2، (1390هـ/1970م)، ص176.

التشريعات: تشريعات خالدة لا تتبدل بتبدل الأوضاع، وتشريعات موقوتة بآجال فتنتهي بانتهاء وقتها، وتجيئ الشريعة التالية بما هو أوفق بالأوضاع الجديدة. ولولا اشتمال الشريعة السماوية على هذين النوعين؛ ما اجتمع فيها العنصران الضروريان لسعادة المجتمع البشري: عنصر الاستمرار الذي يربط حاضر البشرية بماضيها، وعنصر الإنشاء والتجديد الذي يُعدّ الحاضر للتطور والرقي اتجاها إلى مستقبل أفضل وأكمل[1].

ومن أمثلة الجمع في سير التشريعات السماوية بين عنصر المحافظة على القديم الصالح، وعنصر الأخذ بالجديد الأصلح؛ أنه إذا نظرنا نظرة فاحصة إلى سير التشريع السماوي من خلال الشرائع الثلاث؛ اليهودية والنصرانية والإسلام، نجد فيها هذين العنصرين واضحين؛ إذ نجد كل شريعة جديدة تحافظ على الأسس الثابتة التي أرستها الشريعة السابقة، ثم تزيد عليها ما يشاء الله زيادته.

فنرى شريعة التوراة مثلا قد عنيت بوضع المبادئ الأولية لقانون السلوك: "لا تقتل" و"لا تسرق"...، ونرى الطابع البارز فيها هو طابع تحديد الحقوق وطلب العدل والمساواة بينها. ثم نرى شريعة الإنجيل تجيء بعدها فتقرر هذه المبادئ الأخلاقية وتؤكدها، ثم تترقى فتزيد عليها آدابا مكملة: "لا تراء الناس بفعل الخير"، "أحسن إلى من أساء إليك". ونرى الطابع البارز فيها التسامح والرحمة والإيثار والإحسان.

وأخيرا تجيء شريعة القرآن فنراها تقرر المبدأين كليهما في نسق واحد: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [النحل: 90]، مقدرة لكل منهما درجته في ميزان القيم الأدبية مميزة بين المفضول منهما والفاضل: **{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}** [الشورى: 40]، **{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}** [النحل: 126]. ثم نراها وقد أضافت إليهما فصولا جديدة صاغت فيها قانون آداب اللياقة، رسمت بها مناهج السلوك الكريم في المجتمعات الرفيعة في التحية، والاستئذان، والمجالسة، والمخاطبة، إلى غير ذلك، كما نراه في كل من سورة النور والحجرات والمجادلة[2].

---

[1]. المرجع نفسه، ص178-179.
[2]. دراز، الدين، المرجع السابق، ص179-180.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وإذا أردنا أن نبين كمال الدين الإسلامي بشيء من التفصيل؛ أمكننا أن نرصده في جوانبه ومظاهره المتنوعة التي تتجلى في عدة مجالات أهمها: العقيدة بما تحتوي عليه من معتقدات صحيحة، والعبادة بما تضمنه من شعائر تعبدية، والتشريع بما يشمله من تشريعات ونظم تسعى لحفظ نظام العالم، والأخلاق بما ترتبط به وتدل عليه من قيم عليا وفضائل، بالإضافة إلى التوازن بين أنواع هذه الكمالات فلا يطغى أحدها على الآخر.

فنجد أن كمال العقيدة يظهر في أنها عقيدة صحيحة ونقية من كل الشوائب والانحرافات التي أصابت المعتقدات في الديانات الأخرى بعد تحريفها؛ فالعقيدة الإسلامية تشمل الإيمان بما يتعلق بعالمي الغيب والشهادة. وعلى رأس هذه العقيدة؛ الإيمان بالله تعالى المتصف بصفات الكمال، وأنه ليس كمثله شيء. ومما يندرج فيها فيما يختص بعالم الغيب بعد الإيمان بالله: الإيمان بالملائكة والجن، وقيام الساعة والبعث والجزاء وما يتعلق به. وأما ما يخص عالم الشهادة؛ فيتجلى في الإيمان بأن هذا الكون مخلوق من لدن الله، ومسخر لحاجات الإنسان ومصالحه، وأنه محكوم عليه بالفناء عند حلول الأجل المحدد له، وأن هذا الإنسان الذي خلقه الله جعله مستخلفا ومسؤولا، ولذلك متعه وأكرمه بوسائل الإدراك والفهم والتمييز مما لم يكرم به غيره.

وأما كمال العبادة فيتضح بالنظر إلى شعائر: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وهي عبادات كانت معروفة في شريعة إبراهيم، عليه السلام، والإسلام، باعتباره دينا خاتما، جاء موضحا لكيفيات أدائها، ومصححا لما وقع فيها من تحريف؛ لذا جاءت العبادة في الإسلام قادرة على إسعاد النفس البشرية؛ لما فيها من توثيق للصلة المباشرة بين الإنسان وخالقه؛ بإلغاء كل الوسائط المزعومة بينهما. واعتبار الإسلام حياة المسلم كلها عبادة؛ سواء منها ما يمارسه فيها من شعائر تعبدية ذات مراسم معينة، أو ما يقوم به من الأعمال العادية؛ إذا صحح وجهته وأخلص فيها، باعتباره خليفة الله في الأرض ينفذ أوامره ويسعى إلى إصلاح عمله في شؤون الحياة.

وفي هذا الإطار يقرر الشاطبي (ت 790هـ) «أن البناء على المقاصد الأصلية يُصير تصرفات المكلف كلها عبادات، كانت من قبيل العبادات أو العادات؛ لأن المكلف إذا فهم مراد الشارع من قيام أحوال الدنيا، وأخذ في العمل على مقتضى ما فهم، فهو إنما يعمل من حيث طُلب منه العمل، ويترك إذا طلب منه الترك، فهو أبدا في إعانة الخلق

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

على ما هم عليه من إقامة المصالح باليد واللسان والقلب»[1]؛ فتصير جميع تصرفاته عبادة لله، ومما يشير في القرآن إلى هذا المعنى قوله تعالى: **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [الأنعام: 162].

وأما كمال التشريع فيتجلى فيما يتميز به الإسلام من تشريعات تضبط العلاقات بين الأفراد والجماعات، وتنظمها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ ومن ذلك إقراره للشورى؛ **{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}** [الشورى: 38]، وأمره بالعدل في الحكم؛ **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}** [النساء: 58]، وتنظيمه للعلاقات المالية؛ كما في قوله تعالى: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}** [البقرة: 275]، وأمره بالإحسان في معاملة الناس؛ قال عز وجل: **{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}** [النساء : 36]، وضبطه لنظام الأسرة وعلاقات أفرادها؛ كما يتجلى ذلك في اهتمامه بجميع قضاياها ومكوناتها، باعتبارها نواة المجتمع؛ ومن ذلك ما نص عليه قوله تعالى: **{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ}** [البقرة : 233].

وغير ذلك من التشريعات التي تحفظ سلامة الأمة واستقرارها، وترسي قواعد الأمن والسلام للإنسان. وهذه التنظيمات كلها نجد أصولها في القرآن والسنة؛ لما جاء فيهما من عرض لأركان الدين وأسسه، ولما يُعتمد في فهمه عليهما لإنارة الطريق أمام المسلمين وهدايتهم للاجتهاد فيما يستجد في حياتهم من وقائع وأحداث، استنادا إلى قواعد الإسلام ومقاصده المنبثقة من هذين الأصلين.

وأما كمال الأخلاق وما يرتبط بها من قيم عليا؛ فيتمثل في أن المبادئ الأخلاقية والقيم الأساسية في الإسلام مصدرها هو شرع الله؛ ومن ثم فهي أخلاق وقيم ثابتة لا يملك المسلمون تغييرها؛ لأنها تتكون مما ينسجم مع تعاليم

---

[1]. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات، تحقيق: أبي عبيدة آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، (1417هـ/1997م)، ج2، ص337.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

العقيدة وأحكام الشريعة؛ كالتقوى وحفظ الكرامة الإنسانية والعدالة، وكل ما يوافق الفطرة التي فطر الله الناس عليها. فإذا «كان الإسلام قد زاد على الديانات التي سبقته باعتماد العقل وبراهينه، وبإقرار أن للكون نواميس طبيعية واجتماعية لا تتبدل، وبمراعاة المصلحة العامة في كل ما يرجع للمعاملات في التشريع؛ فإنه اعتبر نفسه دين الفطرة؛ وبمقتضى ذلك قيد كل نظرة أو اعتبار للنواميس أو مراعاة للمصالح بالمعروف من أخلاق الفطرة؛ أي تلك الأسس الأخلاقية التي أقرتها جميع الديانات والمذاهب السابقة على اختلاف نزعاتها وطبيعتها»[1].

ولذلك شكلت الأخلاق حجر الأساس في بنية المجتمع الإسلامي، والقاعدة التي تنبني عليها المعاملات والعلاقات بين أفراده وجماعاته، فلا سبيل إلى إقامة مجتمع سليم في نظامه السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، إلا بالارتكاز على الأخلاق الإسلامية، التي جرت العادة على تقسيمها إلى أقسام؛ منها: أخلاق فردية يكاد ينحصر مفعولها غالبا على الفرد دون غيره؛ كالصدق والصبر والشجاعة، وأخلاق اجتماعية يعود أثرها على الغير؛ كالرحمة والإحسان والإنصاف.

على أن الأولى، وفق منظور الدكتور دراز (ت 1377هـ)، ومن نحا منحاه؛ أن ينظر إلى المنظومة الأخلاقية القرآنية، ومنظومة الأخلاق الإسلامية عامة، من جهة كونها كلية وشاملة ومتكاملة؛ تتعامل مع مختلف أنماط الوجود الإنساني، دون اعتبار العنصر الغالب في مضمونها، المؤدي للتمييز فيها بين أخلاق: فردية أو اجتماعية، وصوفية أو إنسانية، وعدل أو رحمة؛ لأن الشريعة الإسلامية توصي بالعدل والرحمة معا، وتتواثق فيها العناصر الفردية والاجتماعية، والإنسانية والإلهية، على نحو متين[2]، في تناسب وانسجام مع المهمة الأولى لنبي الرحمة، التي كانت مهمة تربويةً تستهدف الإصلاح الأخلاقي؛ حيث قال، صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ﴾[3].

---

1. علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مؤسسة علال الفاسي/مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط4، (1411هـ/1991م)، ص194.
2. دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تعريب وتعليق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت/دار البحوث العلمية، الكويت، ط8، (1412هـ/1991م)، ص681.
3. مسند أحمد بن حنبل، عن أبي هريرة؛ رقم 8729. وورد في رواية أخرى بلفظ: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ﴾؛ البيهقي، أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، (1424هـ/2003م)، ج10، ص323. وإذا استعرضنا آيات القرآن وأحاديث السنة؛ نجد كلا منهما يزخر بالدعوة إلى التحلي بالأخلاق الحميدة ونبذ الأخلاق الدنيئة، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا. ويمكن الاطلاع على أبرز النماذج لكلا الصنفين في مظانها، ينظر في ذلك على سبيل المثال كتاب: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، "الأخلاق الإسلامية وأسسها".

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ونخلص من كل ذلك إلى أن من الخصائص العامة للرسالة الإسلامية طبيعتها المتميزة بالشمول لكل جوانب الحياة، كما دلت عليه عدة آيات؛ منها: **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}** [الأنعام: 38]، **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}** [النحل: 89]، **{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}** [الروم: 58]، **{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** [فصلت: 3].

وكان لا بد لتحقيق غاية خاصية الشمول من مراعاة التوازن بين الجوانب المختلفة، لذا كان من الخصائص العامة لهذه الرسالة أيضا الوسطية والاعتدال؛ بعدم طغيان جانب من جوانبها على جانب آخر، وهذه هي السمة البارزة للأمة الإسلامية كما يريدها الله: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** [البقرة: 143]، وهي المبدأ الأساس الذي دعا الإسلام إليه وعمل على تحقيقه في عدة مجالات.

فمن مراعاة التوازن عدم طغيان جانب الروح على جانب الجسد ولا العكس؛ فلا رهبانية في الإسلام ولا إفراط في الحياة المادية؛ كما ينبه عليه قوله تعالى: **{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}** [القصص: 77]، ومنه التوازن في توظيف القلب والعقل؛ لما بينهما من تداخل وتأثير متبادل، والتنبيه على اشتغالهما معا، وأثرهما في حياة الإنسان؛ وفق ما تنبه عليه عدة آيات قرآنية؛ منها: **{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}** [الحج : 46]، **{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ}** [الزمر: 18]، ومنه الموقف الوسطي بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة، ومن ذلك منع أخذ الأموال بغير حق؛ كما يدل عليه قوله تعالى: **{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** [البقرة: 188]، والحرص على التوزيع العادل للأموال واستفادة جميع الفئات منها، وقوفا في وجه تداولها بين الأثرياء؛ قال سبحانه: **{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}** [الحشر: 7]، ومنه الموازنة بين القدرات البشرية والتكاليف الشرعية؛ فلا تكليف للإنسان إلا بما يستطيع فعله، دون مشقة زائدة على المعتاد، كما دلت على ذلك عدة آيات؛ منها: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة: 286]، **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة: 185]، **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}** [الحج: 78]،

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وعدة أحاديث؛ منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿**أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**﴾[1]، مع مراعاة البساطة وعدم التعقيد في تلك التكاليف؛ حتى تكون في متناول الجميع.

ولذلك كانت نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، خاتمة النبوات جميعا؛ إذ لو بعث الله بعده رسلا لم يكونوا ليأتوا بشيء جديد عما بُعث به، ولا أن يزيدوا شيئا على ما جاء به من أسس وقواعد في العقيدة أو العبادة أو التشريع أو الأخلاق والقيم؛ حيث أكمل الله الدين وأتم بناءه.

الفرع الثالث: الأفضلية العليا لنبي الإسلام

قبل بيان الأفضلية التي شرف بها خير العباد، والإشارة لبعض مميزات نبوته؛ نقف على علاقة أفضليته على سائر الأنبياء والمرسلين بكونه خاتمهم؛ ذلك أن الله ميزه بعظيم الصفات ومكارم الأخلاق والفضل الكبير، حتى أنه لم يكن لأحد من الأنبياء فضيلة إلا وكان له مثلها أو أعظم منها، ومن تمام هذا الفضل والتكريم الذي خصه الله به؛ أن لا يكون بعده نبيٌّ إعلاءً لمقامه أن يتسنّمه أحد. ولو قضى الله أن يكون بعده نبي لما كان إلا من نسله إكراما له؛ لأنه أعلى الأنبياء رتبة وأعظمهم شرفا، وإنما أوثرت إماتة أبنائه صغارا في حياته لِما قضى الله من إعلاء لمقامه؛ فلا يكون بعده نبي كائنا من كان صونا لمقام نبوته. وقد وردت بعض الآثار الدالة على هذا المعنى؛ منها حديث ابن أبي أوفى موقوفا بشأن إبراهيم بن النبي، صلى الله عليه وسلم؛ حيث قيل لِابْنِ أَبِي أَوْفَى: رَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، فقَالَ: «مَاتَ صَغِيرًا، وَلَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وسلم، نَبِيٌّ عَاشَ ابْنُهُ، وَلَكِنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ»[2].

وإذا كان جميع البشر سواء عند الله من عهد آدم، عليه السلام، إلى قيام الساعة، وأنهم إنما يتفاضلون بتقوى الله؛ فإن الله اختار الأنبياء ليكونوا مصابيح للهدى يستضاء بنور نبوتهم التي وهبهم إياها، وشرفهم بأكمل الأوصاف والفضائل، وجعلهم أئمة الدين والدنيا، لذا من المجمع عليه أنهم أفضل البشر، مع كونهم يتفاضلون فيما بينهم؛ حيث جعلهم الله درجات؛ قال تعالى: **{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}** [البقرة: 253]، **{وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}** [الإسراء: 55]، كما حدثنا عن أولي العزم من

---

1. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة؛ باب الميم، عن أبي هريرة، رقم 7351.
2. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه؛ كتاب الأدب، باب: من سمي بأسماء الأنبياء، وابن ماجه؛ كتاب ما جاء في الجنائز، باب: ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وذكر وفاته.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الرسل، قال تعالى: **{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}** [الأحقاف: 35]، ووصفهم بذلك لقوة عزائمهم وشدة صبرهم وجهادهم، فهم أفضل الرسل؛ والمراد بهم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيس قواعدها وتثبيتها، والمشهور أنهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، عليهم الصلاة والسلام.

ويجدر التنبيه إلى أن الآيات التي ورد فيها عدم التفريق بين الرسل؛ مثل قوله تعالى: **{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}** [آل عمران: 84]؛ ليس المقصود فيها بعدم التفريق عدم الأفضلية بينهم، وإنما المقصود وجوب الإيمان بهم جميعا، وعدم الوقوع في مثل ما فعل اليهود والنصارى في تكذيبهم ببعض الأنبياء، كما يشير إليه قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}** [النساء: 150 - 152].

على أن أفضل الرسل على الإطلاق محمد، صلى الله عليه وسلم، فهو صفوة الصفوة، كما أن الكتاب الذي أنزل إليه هو أعظم الكتب. وقد أخبر، عليه الصلاة والسلام، عن عظيم قدره ومنزلته عند ربه وما خصه به في الدارين، مما يبين أنه سيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله وأعلاهم درجة؛ ومن ذلك قوله، صلى الله عليه وسلم: ﴿**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ**﴾[1]، ومنه أيضا إخباره، عليه الصلاة والسلام، ﴿**عَنْ جِبْرِيلَ عليه السلام، قَالَ: قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ، وَمَغَارِبَهَا، فَلَمْ أَجِدْ رَجُلا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وسلم، وَلَمْ أَرَ بَيْتًا أَفْضَلَ مِنْ بَيْتِ بَنِي هَاشِمٍ**﴾[2].

وقال، عليه الصلاة والسلام: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي**

---

1. أخرجه الترمذي؛ كتاب المناقب، باب: في فضل النبي، صلى الله عليه وسلم.
2. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط؛ باب: الميم، من اسمه محمد، عن عائشة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204 ISSN:2958-8537 Issue: N11
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ﴾[1]، وقال: ﴿**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ**﴾[2].

وقال، في حديث آخر: ﴿**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**﴾[3]، وقال أيضا: ﴿**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ، إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ، آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[4].

وهذه الأخبار مجرد نماذج، وغيرها كثير في نفس المعنى؛ كما يتجلى ذلك فيما أورده منها القاضي عياض (ت 544هـ) في "الشفا"، عند كلامه في الإخبار بعظيم قدر النبي، صلى الله عليه وسلم[5].

ومما يشير لأفضليته، عليه الصلاة والسلام، على سائر الأنبياء؛ ما ثبت من إمامته بهم في ليلة الإسراء، وأنه لم يعط أحد منهم معجزة ولا فضيلة إلا وقد أعطي خير العباد مثلها أو أبلغ منها[6]. كما أن الدواعي التي من أجلها كانت نبوة الأنبياء السابقين جميعا، هي آكد وأكمل وجودا في نبوته؛ ذلك أنه «لما كانت النبوة محققة وثابتة في الجنس البشري وأن (كثيرا)[7] من البشر جاءوا فأعلنوا النبوة وقدموا المعجزات برهانا وتأييدا لها؛ فلا شك أن نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، تكون أثبت وآكد من الجميع، لأن مدار نبوة الأنبياء وكيفية معاملاتهم مع أممهم، والدلائل والمزايا والأوضاع التي دلت على نبوة عامة الرسل، أمثال: موسى وعيسى، عليهما السلام، توجد بأتم صورها وأفضل معانيها

---

1. أخرجه الترمذي؛ كتاب المناقب، باب: في فضل النبي، صلى الله عليه وسلم.
2. أخرجه ابن ماجه؛ كتاب الزهد، باب: ذكر الشفاعة، والإمام أحمد؛ مسند الأنصار، حديث الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه.
3. أخرجه الإمام مسلم في صحيحه؛ كتاب الإيمان، باب: في قول النبي، صلى الله عليه وسلم: أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا، عن أنس.
4. أخرجه الإمام مسلم في صحيحه؛ كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، عن أبي هريرة.
5. ينظر: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (مذيلا بحاشية: "مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء" لأحمد الشمنى)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1409هـ/1988م)، ج1، ص165 وما بعدها.
6. أشار إلى هذا المعنى البوصيري، حيث ذكر أن سائر الأنبياء قد استمدوا معجزاتهم من نوره، صلى الله عليه وسلم؛ فقال:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

ينظر: محمد يحيى حلو، البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، (على متن "البردة"، لـ: محمد بن سعيد البوصيري)، مراجعة: محمد علي حميد الله، دار البيروتي، دمشق، ط3، 1426هـ، ص78-79.

7. نص عبارة النورسي هنا "أن مئات الألوف من البشر جاءوا فأعلنوا النبوة..."، وقد عدلت عنها إلى "أن (كثيرا) من البشر جاءوا فأعلنوا النبوة..."، باعتبار أنه قد اختلف أهل العلم في عدد الأنبياء، بحسب ما ثبت عندهم من الأحاديث الوارد فيها ذِكر عددهم، وأن الأشهر فيما جاء في ذلك؛ حديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ وفيه: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلَ؟ قَالَ: ﴿**آدَمُ عليه السلام**﴾، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ أَوَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: ﴿**نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ رُوحَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا آدَمُ قُبْلًا**﴾، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ وَفَّى عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: ﴿**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**﴾، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده؛ ضمن مسند الأنصار، من حديث أَبِي أُمَامَةَ الباهلي الصدي، رقم الحديث: 21784.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لدى الرسول الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، حيث إن علة حكم النبوة وسببها أكمل وجودا في ذاته، فإن حكم النبوة لا محالة ثابت له بقطعية أوضح من سائر الأنبياء عليهم السلام»[1].

ومما يجلي أيضا أفضليته، عليه الصلاة والسلام، على سائر الأنبياء وعظمة قدره، الدالة على أن نبوته والرسالة التي بعث بها هي الخاتمة؛ ما تميزت به رسالته من مميزات جعلتها مهيمنة على الرسالات السابقة، بمقتضى هيمنة القرآن وشريعته على كتب وشرائع تلك الرسالات، مما يدعو أتباعها إلى اتباع هذا النبي عند بعثته، قال تعالى: **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}** [الأعراف: 157]؛ حيث أخذ الله على الأنبياء ميثاقا في الأزل أنه من أدركه في حياته فإنه يؤمن به ويسير على هديه، قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}** [آل عمران: 81]. وقد كان النبي من بني إسرائيل يبشر بمن بعده فيخلفه، ثم كان التبشير بمحمد، عليه الصلاة والسلام، فلما أخذ عليهم الميثاق باتباعه كان هو خاتم النبيين.

ومن الدلالات الجليّة والهامة لهاته الخاتمية استمرار قيادة سيد المرسلين للأمة إلى قيام الساعة، وعدم وجود أي مجال لظهور قيادات أخرى تحل محله أو تنسخ الشريعة التي بعث بها؛ كما يشير لهذا البعد الدلالي ما جاء عن عبد الله بن ثابت، قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ، أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ عُمَرُ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وسلم، رَسُولًا، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ**»[2].

---

[1]. سعد عبد الله عاشور، النبوة في فكر النورسي، مرجع سابق، ص497.
[2]. مسند الإمام أحمد، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَابِتٍ، رقم الحديث 15437.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158 -204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الخاتمة

انتهت الدراسة إلى استخلاص وتقرير مجموعة من النتائج، والخروج ببعض التوصيات، مع فتح آفاق لمزيد من البحث في استثمار ما تقرر في الموضوع؛ ويمكن تركيز أهم ذلك فيما يلي:

الاستنتاجات:

– ارتكز منهج النبوات والرسالات السماوية عبر التاريخ الإنساني على التدرج في البناء، حتى وصل إلى درجة الاكتمال مع النبوة الخاتمة، التي مثلت اللبنة الأخيرة؛ بتقديمها للبشرية، حين اكتمل نموها وبلغت النضج المطلوب، المنهج الأخير الذي انتهت إليه النبوات باعتباره ثمرتها؛ بما تضمنته هذه النبوة من خلاصات دعوات الأنبياء وقصصهم مع أقوامهم وغير ذلك، مما شكل رصيدا هاما في بناء لبنتها.

– امتازت هذه النبوة بالشمول والعمق والنضج، والاستيعاب لأبعاد الماضي في التاريخ ولمقومات بناء الحاضر ولمتطلبات استشراف المستقبل، باعتبارها تشكل المنهج المكتمل والدائم؛ لكونه في مأمن من النقصان أو التبديل أو الضياع؛ مصداقا لقوله عز وجل: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الأنعام: 115].

– من ثمرات عقيدة ختم النبوة، المبينة لأهميتها؛ أنها تشكل سياجا منيعا للأمة الإسلامية يحفظها من سبب رئيس للفتن المهلكة، وسدا أمام من يبتغي تضليلها وصرفها عن دينها وتمزيق وحدتها، بإغلاق باب واسع للابتداع في الدين وتضليل الناس.

– خاتمية الرسالة الإسلامية تعني دوام الشريعة التي بعث بها سيد المرسلين وخاتم النبيين، واستمرار قيادته، عليه الصلاة والسلام، للأمة إلى قيام الساعة، كما هو جلي لمن عرف أوصاف الرسالة الخاتمة المتميزة بالعموم والكمال والدوام.

– استحالة وجود نبوة أخرى بعد البعثة المحمدية، لا يعني تخلي النبوة عن دورها الأساسي في بناء الحضارة الإنسانية، وإنما يدل على أن النبوة الخاتمة جاءت مشتملة على كل ما في النبوات والرسالات السابقة من مبادئ وقيم وتشريعات ثابتة، مع نسخ ما لابسها من أحكام وتشريعات مرحلية، وإضافة كل ما تحتاجه البشرية لإكمال مسيرتها في هذه الحياة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/06/2023
Issue: N11 ISSN:2958-8537 العدد الحادي عشر: ص.ص158- 204
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

– الرسالة الإسلامية مهيمنة؛ لقدرتها على التلاؤم مع الأمكنة والبيئات المختلفة، وصلاحيتها للاستمرار في الأزمنة اللاحقة وما تحمله من تطورات. وبذلك امتلكت الأسس التي جعلتها الرسالة والشريعة الخاتمة؛ فلا تقبل النسخ والتبديل.

التوصيات:

– التحذير من الوقوع في أسباب الضلال، وما تفضي إليه من الانخداع بافتراءات أدعياء النبوة.

– الوقاية من ضلالات المتنبئين؛ بالحد من العوامل المساهمة في ظهور التنبؤ ونشره لأفكاره ومعتقداته الفاسدة.

– حفظ العقول من الآفات التي تفقدها القدرة على التمييز ومعرفة الحق؛ بواسطة التعليم ونشر التوعية عبر مختلف القنوات وبكل الوسائل الممكنة.

– تضافر الجهود وتوظيف جميع الوسائل المتاحة في تبليغ حقيقة الإسلام وتعاليمه للناس، وإكسابهم المعرفة الشرعية الضرورية؛ وعلى رأسها العقيدة الإسلامية الصحيحة، ضمانا لاستقرار الإيمان ورسوخ دعائمه في النفوس.

– التعريف بالنبي الخاتم وصفاته وشمائله ومختلف جوانب سيرته عليه الصلاة والسلام، مع الوقوف على تاريخ سائر الأنبياء وصفاتهم عليهم السلام.

– ترسيخ المعرفة بدوام صلاحية الرسالة الإسلامية، الذي اكتسبته من عمومها للناس جميعا على اختلاف الأزمنة والأمكنة، وكمالها وسمو مقاصدها وأحكامها التي توافق صريح المعقول، وإرشادها إلى طرق تحقيق المصالح العامة والخاصة ببيان أصولها، وتوجيهها للاجتهاد فيما يستجد من وقائع؛ مواكبة لتطورات الحياة.

– أن تركز الأمة جهودها على عمارة الأرض، ومجابهة التحديات التي تواجهها، وبذل الجهود في سبيل تبليغ جوهر الرسالة الإسلامية الخاتمة لكافة الناس؛ باعتبارها رسالة عالمية تدعو البشر جميعا للتعارف والتعاون والتكامل، ابتغاء تحقيق الخلافة العامة للإنسان في الأرض.

الآفاق:

أخيرا، تفتح الدراسة آفاقا رحبة للنظر والتأمل والبحث؛ فيما يرتبط بختم النبوة وينطوي عليه من دلالات وأبعاد مقاصدية، للإسهام في جهود مقاربتها واستجلائها؛ باعتبارها من قضايا المعرفة الرئيسة المندرجة في أولويات الفكر الإسلامي، وذات الأهمية الكبرى في الوعي الحضاري بالتاريخ والواقع الإنساني في علاقته بالوحي الإلهي.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، (المصحف الشريف على رواية حفص لقراءة عاصم الكوفي).

1- إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط: السادسة عشرة، سنة: 1404هـ/1983م.

2- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، 1421هـ/2001م.

3- إنجيل متى، طبع جمعية التوراة الأميركانية، المطبعة الأميركانية، بيروت، (د.ط)، 1910م.

4- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، (د.م)، ط الأولى، 1422هـ.

5- البيهقي، أبو بكر، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت: ط الأولى، (د.ت).

6- البيهقي، أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثالثة، 1424هـ/2003م.

7- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1998م.

8- ابن تيمية، أحمد، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط الأولى، 1420هـ/2000م.

9- جعفر الهادي، معالم النبوة في القرآن الكريم-محاضرات جعفر السبحاني، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1405هـ/1984م.

10- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى؛ (د.ت).

11- حامد أشرف همداني، مفهوم النبوة وضرورتها للبشرية بمنظور رسائل النور، بحوث المؤتمر العالمي العاشر عن فكر بديع الزمان النورسي: دور النبوة ومكانتها في البحث عن الحقيقة في منظور رسائل النور، المنظم بين 22-2013/9/24، مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، (د.ط)، 2013م.

12- ابن حبان، أبو حاتم محمد، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، 1414هـ/1993م.

13- ابن حجر العسقلاني، أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1379هـ.

14- أبو حنيفة النعمان، مسند أبي حنيفة رواية الحصكفي، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، دار النشر: الآداب، مصر، ط الأولى، (د.ت).

15- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، الانتصار للقرآن: تهافت "فرقان" متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن، مؤسسة الفرسان للنشر، عمان، الأردن: ط الأولى، 2005م/1426هـ.

16- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

17- الدارمي، عبد الله، سنن الدارمي (مسند الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، السعودية، ط الأولى، 1412هـ/2000م.

18- أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

19- دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تعريب وتعليق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت/دار البحوث العلمية، الكويت، ط الثامنة، 1412هـ/1991م.

20- دراز، محمد عبد الله، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت: ط الثانية، 1390هـ/1970م.

21- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق/بيروت، ط الأولى، 1412هـ.

22- سعد عبد الله عاشور، النبوة في فكر النورسي مفهومها، ضرورتها، دورها، بحوث المؤتمر العالمي العاشر عن فكر بديع الزمان النورسي: دور النبوة ومكانتها في البحث عن الحقيقة في منظور رسائل النور، المنظم بين 22-2013/9/24، مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، (د.ط)، 2013م.

23- السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التأويل بالمأثور، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1993م.

24- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات، تحقيق: أبي عبيدة آل سلمان، دار ابن عفان، (د.م)، ط الأولى، 1417هـ/1997م.

25- ابن أبي شيبة، أبو بكر، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت؛ مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، 1409هـ.

26- شيبة الحمد، عبد القادر، البهائية إحدى مطايا الاستعمار والصهيونية، مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، السنة السابعة/العدد الأول: رجب 1394هـ/1974م.

27- الطبراني، سليمان بن أحمد، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، 1405هـ/1984م.

28- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

29- العقاد، عباس محمود، مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية، كتاب الهلال 50؛ دار الهلال، القاهرة، مصر، (د.ط)، رمضان 1374هـ/ماي 1955م.

30- علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مؤسسة علال الفاسي/ مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط الرابعة، 1411هـ/1991م.

31- عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى، حقيقة الإنسان-الكتاب الثاني {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}، دار المعارف، القاهرة: ط الثانية، (د.ت).

32- القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (مذيلا بحاشية: "مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء" لأحمد الشمنى)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1409هـ/1988م.

33- القرطبي، أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة: ط الثانية، 1384هـ/1964م.

34- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم/دار الشامية، جدة، السعودية، ط الأولى، 1416هـ/1996م.

35- ابن ماجه، محمد، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط الأولى، 1430هـ/2009م.

36- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم.. بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار الوفاء، المنصورة: ط الثانية، 1420هـ/2000م.

37- محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق: محمود أبو رية، دار المعارف، مصر، ط الثالثة، (د.ت).

38- محمد يحيى حلو، البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، (على متن "البردة"، لـ: محمد بن سعيد البوصيري)، مراجعة: محمد علي حميد الله، دار البيروتي، دمشق، ط الثالثة، 1426هـ.

39- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

40- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: ط الثانية، 1401هـ/1981م.

41- ابن منظور، محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت: ط الثالثة، 1414هـ.

42- المودودي، أبو الأعلى، ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة، ترجمة: خليل أحمد الحامدي، مكتبة الرشاد، الرياض، السعودية، (د.ط)، 1403هـ/1983م.

43- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ط الثانية، 1392هـ.